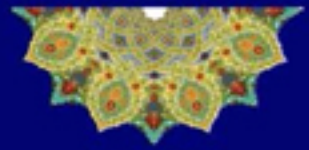

-25-

الإمام علي السجاد (عليه السلام)
وآثاره التربوية والإصلاحية

عماد الكاظمي

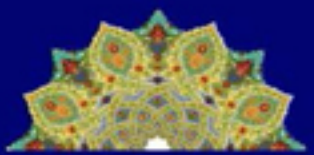

الكتاب: الإمام السجاد (عليه السلام) وآثاره التربوية والإصلاحية
المؤلف: عماد الكاظمي.
الطبعة: الأولى.
المطبعة: دار الرافد / قم المقدسة.
السنة: ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣١٣٨) لسنة ٢٠١٧م

الإهداء:

- إلى سيد الساجدين وزين العابدين ..
- إلى محراب الأخلاق والعرفان ..
- إلى مولاي علي بن الحسين (عليه السلام) ..

أتقرب إليك بهذه الصفحات ..

عسى أن تكون وفاء الحق المولى ..

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي المصطفى الأمين، وعلى آله الهداة المعصومين.

إنَّ التربية والإصلاح من أهم مقومات الشخصية الإنسانية، وهذا ما نراه في فطرته التي تبحث عن كُلِّ ما فيه من خير وصلاح، والشريعة الإسلامية المقدسة كان لها تأكيد كبير على الأخلاق والتربية من خلال الآيات المباركة والأحاديث الشريفة، فضلاً عن سيرة الأنبياء وأوصيائهم (عليهم السلام) في المجتمع، وهذا ما نراه بأدنى تأمل لنصوص الشريعة المقدسة، والقرآن مصدر هداية وصلاح لمن تمسك بتعاليمه، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [1] وغيرها من الآيات الشريفة.

وإنَّ السنة الشريفة قد تضمنت موروثًا كبيرًا وعظيمًا من الأحاديث الشريفة في هذا الباب من أبواب المعرفة الإنسانية عن طريق النبي والأئمة (صلوات الله عليهم)، وخصوصًا التربوية والإصلاحية منها، والتي كانوا يحدِّثون بها الأمة، ويقومون بتربية أصحابهم عليها؛ لتكون منهجًا علميًا وعمليًّا في ذلك، ومن أولئك الأئمة المهديين الذين كان له تراث عظيم في ذلك هو الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام)، الذي فاض تراثه بالمعارف

(١) سورة الإسراء: الآية ٩

التربوية والأخلاقية، وهذا ما يمكن رؤيته بأدنى تأمل في تراثه العلمي الكبير، الذي تضمنته أدعية الصحيفة السجادية، ورسالة الحقوق، وأحاديثه المختلفة، التي تؤكِّد جميعها على مقام الإنسان ومنزلته في المنهج التربوي الإسلامي، فكانت سيرته (عليه السلام) ترجمانًا لذلك، ورأيناه في أعلى مكارم الأخلاق مع أصحابه وأعدائه، وهو يؤدي رسالته في المجتمع الإسلامي، فضلاً عن مقام خلافة الله تعالى في عباده، ونحاول في هذه الصفحات أنْ نتناول بعضًا من أحاديثه التربوية الشريفة، ونبيِّنُ ما يتناوله في منهجه الإصلاحي للفرد والأمة، وبيان أهمية العمل بذلك على السلوك الفردي والجماعي، وحاولت في هذه الدراسة الجمع بين الرؤية القرآنية الخاصة في مجال التربية، والدراسات التربوية العامة، فضلاً عن قراءتي التي أراها، من خلال ما سيتم طرحه باختصار شديد في كُلِّ ما يتعلق بأحاديثه، وقد حاولت تقسيم البحث على مباحث خمسة، بعد مقدمة وتمهيد، ثم خاتمة.

إننا -حقيقة- بأمس الحاجة إلى مثل هذه القراءات لتراث الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، بعد أنْ تعرضت الأمة إلى هجمات ثقافية مختلفة الاتجاهات، بعيدة عن الثقافة الإسلامية، تحاول كُلُّ واحدة منها أنْ تثبت نجاحها من خلال تجاربها في المجتمع الإسلامي، وهذا من أشد وأصعب ما تتعرضه الأمة وأبناؤها، وما يستوجِبُ على العلماء والمفكرين والباحثين في مثل هذا الحال من الاهتمام لذلك، والاعتناء به، فضلًا عن الجامعات والمؤسسات والمراكز العلمية؛ لأهمية الأخلاق والتربية في سلوك الفرد والمجتمع، فإنْ ضاعت -لا سمح الله- فقد تم هدم كيانهما، وأصبحت

تلك التعاليم التربوية الموروثة تراثًا لا حياة له، كغيره من تراث الأمم الذي يُحفظ في المتاحف، وإنَّ المشاركة في تسليط الضوء على حياة عظيم من عظماء البشرية، ومصلح من مصلحيها، وإمام من أئمتها لقراءة ما يتعلق به، وبتراثه الخالد، لهي خطوة عظيمة في سبيل أداء المراكز البحثية والجامعات دورها الفكري والتربوي في المجتمع[1]، وخصوصًا بين طلبتنا الأعزاء، الذين هم قادة الأمة بعد أيام، وأحاول في هذه الصفحات أنْ أقدم شيئًا موجزًا مما ورد من تراث الإمام السجاد (عليه السلام) التربوي عسى أنْ تكون نافعة لي ولإخواني من بني البشر، في هذه المحاولة الثالثة لقراءة تراثه التربوي الإصلاحي بعد أنْ وفقني الله تعالى في محاولتين سابقتين، قد يُفاد منهما في هذا البحث، فأسأل الله تعالى أنْ يتقبلها بأحسن قبوله، إنه سميع الدعاء.

(١) إنَّ هذا الكتاب هو بحث مشارك في المؤتمر العلمي للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) الذي أقامته كلية الآداب / جامعة القادسية تحت شعار (مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وأدب العلماء زيادة في العقل) للمدة ١٠-٢٠١٧/٥/١١م.

تمهيد: أثر التربية في بناء الفرد والمجتمع.

إنَّ الإسلام في تشريعاته قد ٱعتنى كثيرًا بتنظيم حياة الفرد والأسرة والمجتمع؛ لأنَّ الأول والثاني هما عماد بناء الثالث، فكان التشريع قد نظَّمَ جميع الجوانب التي يحتاجها الإنسان من كونه وحدة ٱجتماعية صغيرة، إلى كونه جزءً في تأسيس المجتمع، وهذه حقيقة يجب علينا بيانُها ووضْعُ نظامٍ معرفيٍّ لها، لإظهار تشريعات النظام الإسلامي في ذلك، فكثير من الآيات المباركة قد خصت خطابها إلى الفرد وأهمية ٱمتثاله للتشريع حفاظًا عليه من كُلِّ سوء وٱنحراف، فقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [1]، وآيات أخرى متعددة قد حددت وظيفة الفرد في جميع مجالات الحياة المادية والمعنوية التي لها أثر في بنائه وتكوينه، كالإيمان، والأمانة، والصدق، والحب، والبر وغيرها من المفردات الأخلاقية التي لها أثر في بناء شخصيته، وتربيته تربية رصينة، وقد أكَّدت الدراسات التربوية أهمية هذا البناء الأول الذي يتقوَّم به المجتمع، فقالوا: ((إنَّ المجتمعَ وقوةَ بنيانِه، ودرجةَ تقدُّمِهِ وٱزدهارِهِ وتماسكِهِ ترتبطُ بالصحةِ النفسيةِ والاجتماعيةِ للفردِ، فالفردُ داخلُ المجتمعِ هو الأساسُ الذي يجبُ حمايتَهُ، وهو الهدفُ الذي يصيرُ إليهِ المجتمعُ، ولكي يكونَ الفردُ عضوًا فاعلاً في تحقيقِ التقدُّمِ الاجتماعيِّ لا بُدَّ من الاهتمامِ بتنشئتِهِ الاجتماعيةِ)). [2]

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧

(٢) تركية، بهاء الدين خليل: علم الاجتماع العائلي ص٨٩

وإنَّ ما يتعلق بالمجتمع وبنائه بناءً عقائديًّا وتربويًّا فالتشريع قد أكَّد ذلك في كثير من جوانب الحياة، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[1]، فضلاً عن الأحاديث الكثيرة التي حثت على التراحم والتزاور والتعاون وٱحترام حقوق الآخرين، مهما كان ٱنتماؤهم، بل كان أساس العلاقات قائم على تكريم الإنسان والحفاظ عليه شاهدًا أو غائبًا، فجعل لهم حقوق متبادلة يجب مراعاتها فيما بينهم [2]، وهذا من أعظم ما بيَّنه التشريع الإسلامي في الحفاظ على المجتمع وتربيته، لأداء دوره التربوي والإصلاحي من خلال نظامه؛ لأنَّ الإنسان مستعد لذلك بفطرته التي أودعها الله تعالى فيه، وهذا ما تذهب إليه بعض المذاهب التربوية النفسية، فقد ورد عنهم: ((إنَّ الإنسانَ خيِّرٌ بطبعهِ، وإنَّ ما يتلقَّاهُ من عدوانيةٍ وأنانيةٍ بمثابةِ أعراضٍ مرضيةٍ، هي نتيجةُ ما يتلقَّاهُ الفردُ من إحباطاتٍ مختلفةٍ، أو

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠

وقد ذكرتُ آيةً واحدةً كمثالٍ لاعتناءِ التشريعِ الإسلاميِّ بالفردِ والأسرةِ والمجتمعِ، والقرآنُ أغلبُهُ إنْ لم يكنْ كُلُّهُ قد نظَّمَ أُسُسَ العلاقاتِ عندَ الثلاثةِ.

(٢) إنَّ هناك أحاديث كثيرة وردت في ذلك، ومنها ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في بيان حقوق سبعة من حقوق المسلم على المسلم يجب أنْ يحافظ عليها، وإلا خرج من ولاية الله تعالى، وهذه الحقوق من أعظم مفردات التربية الفردية والاجتماعية في النظام الإسلامي. ينظر: الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، ١٦٩/٢ باب (حق المؤمن على أخيه وأداء حقه) الحديث ٢

إنكارٍ لحقِّهِ في أنْ يحققَ إنسانيتَهُ، وقد يُساءُ توجيهُ الفردِ، أو يُحالُ بينهُ وبينَ الحياةِ العاديةِ الصحيحةِ، نتيجةَ الصعوباتِ والتحدياتِ التي يواجهها)). (١)

فبناء الإنسان وتربيته على المستوى الفردي والاجتماعي، من خلال أثره كفرد في الأسرة، من الضرورات العقلية المهمة لدى البشرية في صلاحها، وقد تضمنت ذلك كتابات التربويين الإسلاميين والغربيين، فهناك أهمية كبيرة للأسرة في التنشئة الاجتماعية، وبناء مجتمع قائمٍ على أفراد صالحين، فالأسرةُ هي المؤسسةُ الرئيسةُ والأساسُ في المجتمعِ، ولديها وظائفُ متنوعةٌ، ومن أهم ما ٱنمازت به أنها منظمةٌ ٱجتماعيةٌ تمارسُ نفوذًا كبيرًا على أفرادِها، كونُها أولَ منظمةٍ تتلقَّى الفردَ وتوفِّرُ له الرعايةَ والغذاءَ وما يحتاجهُ من ضروريات الحياةِ في تنشئته الأولى، فضلاً عن مميزات أخرى لها. (٢)

وعلى أساس ذلك نرى أنَّ القرآن الكريم قد ذكر أهمية تلك العلاقات، ووجوب أنْ يكون الانطلاق الأول من محاسبة الذات وتنظيمها للانطلاق نحو المجتمع، وهذا ما يمكن قراءته في بعض الدراسات الإسلامية التي أكدت على أهمية ذلك، حيث ورد: ((إنَّ الإصلاحَ التربويَّ إمكانٌ ذاتيٌّ ينطلقُ من الذاتِ، مع مراعاة قِيمَها وهويتها، هادفاً إلى ترسيخ وضمانِ قُوَّتِها، مما يمكنُ من توحيدِ أفرادِ الأمةِ روحًا وفكرًا، وسلوكًا ومصيرًا)). (٣)

---

(١) حسين محمد علي طاهر، علم النفس في رحاب القرآن الكريم والنبي محمد وأهل بيته الطاهرين ص٦٤-٦٥

(٢) ينظر: علم الاجتماع العائلي ص٩٠

(٣) الناصري، محمد: العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية ص٣٧١

إنَّ أهمية كُلِّ ما تقدم تكون واضحة تمامًا عندما يتم ربط هذه العلاقات الثلاث (الفرد والأسرة والمجتمع) فيما بينها ٱرتباطًا قائمًا على منهج تربويٍّ يستقي منها نظامه التكاملي في التربية الاجتماعية الأخيرة، بعد تجاوزه التربيتين الأوليين الفردية والأسرية، وقد أكَّد الباحثون التربويون أهمية تلك العلاقات في بناء النظام الاجتماعي، فقالوا: ((يقومُ المجتمعُ على جهدِ كُلِّ عضوٍ من أعضائِهِ؛ لتحقيقِ الكفايةِ التي تشبعُ حاجاتِهِم، ذلكَ أنَّ الأعضاءَ يرتبطونَ بالأعضاءِ والجماعاتِ التي تساهِمُ في تقدمِهِم، وتحقُّ شعورَهُمْ بالكفايةِ كالأسرةِ مثلاً، مما يؤدي إلى التوافقِ المتبادلِ بينَ سلوكِ الأشخاصِ نتيجةَ الاستجاباتِ المشتركةِ بينَ الأفرادِ والجماعاتِ، بالصورةِ التي توفِّرُ لهم الوحدةَ النفسيةَ، والروحَ الجماعيةَ التي تعدُّ العاملَ الجوهريَّ في نشاطِ المجتمعِ)). [١]

فالتربية لها أثر كبير في بناء المجتمع بناءً تربويًّا وعقائديًّا، وقد ٱعتنى المسلمون بذلك من خلال المؤلفات الكثيرة التي حاولت بيان تلك العلاقات وأهميتها وأثرها الفردي والاجتماعي. [٢]

---

(١) أحمد علي الحاج محمد: علم الاجتماع التربوي المعاصر ص٥٩

(٢) ومن المؤلفات والبحوث المعاصرة التي يمكن مراجعتها في ذلك لبيان تنظيم تلك العلاقات على وفق التشريع الإسلامي مثلاً (الطفل بين الوراثة والتربية، والشباب بين العقل والعاطفة للشيخ محمد تقي فلسفي)، و(آداب الأسرة في الإسلام) للسيد محمد سعيد العذاري)، و(دور العقيدة في بناء الإنسان للأستاذ عباس ذهبيات) وغيرها من المؤلفات المتعددة، المطولة أو الموجزة.

إنَّ الإنسان بطبيعة أحواله محتاج إلى معرفة الطريق النافع له، والمُنجي من كُلِّ سوء يؤدي به إلى أيِّ أذىً ماديٍّ أو معنويٍّ، وهذا لا يتم ما لم يكن مُهَيَّئًا لتلقِّي المعارف التي تؤسس لذلك وتحصِّنَهُ مما قد يضيِّعُ عليه تلك الأهداف، والتي تكون فردية تارة، وٱجتماعية تارة أخرى، فهو في الحالَيْنِ محتاج إلى الآخر، أو إلى الآخرين ليحقق سعادته التي يرى آثارها على نفسه كفردٍ، أو على المجتمع كفردٍ هو من ضمنه، والشريعة المقدسة في كثير من نصوصها قد ٱعتنت بذلك، في بيان مفردات التربية الفردية والجماعية، فينبغي أنْ تتحقق السعادة على المستوى العام إجمالاً في التشريع الإسلامي، لا أنْ تتحقق على مستوى الفرد فقط إنْ كان في ذلك آثار سلبية على المجتمع، وهذا ما أشارت إليه كثير من الدراسات الفلسفية والأخلاقية الإسلامية وغيرها، بل في دراسات أخرى تم التأكيد عليها كذلك، فمما ورد في كتابات الغربيين عند مناقشتهم لحدود المنفعة الشخصية وأبعادها قولهم: ((وبالاختصارِ نقولُ إنَّ مذهبَ المنفعةِ الشخصيةِ ليسَ مذهبًا عديمَ القيمةِ، إنَّهُ فقط جدُّ متفائِلٌ، وليسَ في تفاصيلِهِ قواعدَ للسلوكِ موثوقٌ بها إلى حَدِّ الكفايةِ، إنَّ ٱطمئنانَ الضميرِ – بالنسبةِ إلى النفوسِ المهذَّبَةِ تهذيبًا عاليًا– هو المطلبُ الأولُ، لكن هل كُلُّ النفوسِ عاليةُ التهذيبِ)) [1]، إنَّ هذا النص يبيِّن بوضوح حاجة الإنسان إلى نظام يكفل له تحقيق سعادته، يطمئن إليه، ويثق به، ليست فيه غايات شخصية ضيقة، بل يتجاوز الذات إلى الآخر، وهذا ما نحاول عرضه في هذه الصفحات

(١) أندريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلسفية ص٢٨٠

المتواضعة، من خلال بيان ما ورد في التشريع الإسلامي من آثـــار كبـــيرة في تهذيب سلوك ورغبات الفرد والمجتمع.

إنَّ ما يتعلق بالإمام السجاد (عليه السلام) وما ورد عنه من آثار تربوية في بناء الإنسان والمجتمع وصلاحهما هي كثيرة، وكان من أعظمهـــا تلـــك الرسالة العظيمة المشهورة بـ"رسالة الحقوق" التي تضمنت حقوقًا وواجبات لها أعظم الآثار التربوية والإصلاحية، فإنَّه (عليه السلام) وضمن منهجه في تربية الإنسان وآستثمار طاقاته التي أودعها الله فيه، يحاول أنْ يضع له نظامًا تكامليًّـــا في تنظيم علاقات معينة في مجال تربية النفس وتكاملها، سواء على المستوى الفردي في علاقاتها المتعلقة بالذات، أم على المستوى الجماعي في علاقاتها المتعلقة بالمجتمع، وفي ذلك آمتداد لمنهج الثقلين -القرآن والعترة- في التربية والإصلاح على المستويين العلمي والعملي، وفي النظرية والتطبيق، وســـوف أحاول -بتواضع- بيان بعض تلك العلاقات من خلال بيان ما يتعلق بها مـــن الناحية الشرعية والتربوية، ثم بيان آثارها العملية في سلوك الإنسان؛ لنكون على بينة وإحاطة من رسالة الإمام السجاد التربوية الإصلاحية، في سبيل الوصـــول إلى أعلى درجات التكامل النفسي والاجتماعي، وهذا ما سيكون مـــن خـــلال دراسة معرفية لحديث واحد من أحاديثه (عليه السلام)، إذ يقول لبعض بنيـــه: ((يَا بُنَيَّ، آنْظُرْ خَمْسَةً فَلا تُصَاحِبْهُمْ، وَلا تُحَادِثْهُمْ، وَلا تُرَافِقْهُمْ فِـــيْ طَرِيْـــقٍ. فَقَالَ: يَا أَبَهْ مَنْ هُمْ؟ قَالَ (عليه السلام): إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَـــةِ السَّرَابِ يُقَرِّبُ لَكَ الْبَعِيْدَ، وَيُبَعِّدُ لَكَ الْقَرِيْبَ. وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفَاسِقِ، فَإِنَّـــهُ بَايِعُكَ بِأَكْلَةٍ أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ. وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْبَخِيْلِ، فَإِنَّهُ يَخْذُلُكَ فِيْ مَالِـــهِ

أَحْوَجُ مَا تَكُوْنُ إِلَيْهِ. وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ. وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْقَاطِعِ لِرَحِمِهِ، فَإِنِّيْ وَجَدْتُهُ مَلْعُوْنًا فِيْ كِتَابِ اللهِ)). [١]

فالحديث يبيِّن جانبًا من جوانب العلاقات الاجتماعية التي هي بحاجة إلى تنظيم قائم على أُسُسٍ معرفية، وقد تناول بيان علاقات خمس مهمة، من الناحيتين الإيجابية والسلبية، وإنْ كان الحديث قد ذكر بألفاظه الجانب السلبي، ولكنه أشار بمضمونه إلى الجانب الإيجابي، وفي هذا توجه من توجهات التنمية البشرية في المصطلح الحديث لاستثمار طاقة الإنسان، فهو يبين الآثار السلبية لهذه الصفات على سلوك الإنسان الفردي والاجتماعي، ويحذر من آثاره، ويؤكد أهمية التحلي بما يقابلها من صفات إيجابية، كما أكَّدت عليها الشريعة المقدسة، المقررة لقواعد السلوك العقلي، أو لما اتفق عليه العقلاء في بناء العلاقات الفردية والاجتماعية، وهذه أعظم ميزة في المنهج التربوي الإسلامي؛ لذا سأحاول وضع عنوانات تربوية في الجانب الإيجابي لكُلِّ علاقة من العلاقات الخمسة الواردة في الحديث، لمناقشة البناء الإيجابي وآثاره من جهة، وبيان الآثار السلبية لكُلٍّ منها كما تضمنها لفظ الحديث، ولا يخفى أهمية الترغيب في الجانب التربوي.

إنَّ هذا المنهج -حقيقة- نراه في كثير من أحاديث ووصايا النبي والأئمة (عليهم السلام) للمسلمين، وغايته الحفاظ على كثير من الروابط الفردية والاجتماعية، من خلال تربية وتنشئة مجتمع، قائم على العلم والعمل

(١) الحراني، الحسن بن شعبة: تحف العقول ص١٩٩

تدريجيًّا، يتوصل به الإنسان إلى معرفة كثير من الحقائق، فالإنسان هو العامل الأساس في بناء المجتمع، ويجب أنْ يكون هناك آعتناء كبير في إيجاد أنظمة وتشريعات للحفاظ عليه، وأنَّ النظام الإسلامي هو نظام كامل له القدرة على ذلك، ماديًّا ومعنويًّا، وقد قرر التربويون أهمية آكتشاف الإنسان ذاته مهما كانت قدراته ومهاراته، والكشف عما لديه من مواهب وآستعدادات، حتى يثبت وجوده في المجتمع، فيكون عنصرًا فاعلاً فيه. (١)

إنَّ الصحبة وآتخاذ الصاحب في الإسلام لها آثار وحقوق تستوجب مراعاتها من قبل المؤمنين، وسيأتي بيان بعضها في الأحاديث الشريفة، والإمام السجاد (عليه السلام) قد ذكر تلك الحقوق وما يتعلق بها؛ ليكون كُلُّ إنسان في رعاية تامة لحقِّ الصحبة، إذا قال: ((وَأَمَّا حَقُّ الصَّاحِبِ فَأَنْ تَصْحَبَهُ بِالْفَضْلِ مَا وَجَدْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، وَإِلَّا فَلَا أَقَلَّ مِنَ الْإِنْصَافِ، وَأَنْ تُكْرِمَهُ كَمَا يُكْرِمُكَ، وَتَحَفَظَهُ كَمَا يَحْفَظُكَ، وَلَا يَسْبِقُكَ فِيْمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلَى مَكْرُمَةٍ، فَإِنْ سَبَقَكَ كَافَأْتَهُ، وَلَا تُقَصِّرْ بِهِ عَمَّا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْمَوَدَّةِ، تُلْزِمُ نَفْسَكَ نَصِيْحَتَهُ، وَحِيَاطَتَهُ، وَمُعَاضَدَتَهُ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، وَمَعُونَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِيْمَا يَهِمُّ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ، ثُمَّ تَكُوْنُ عَلَيْهِ رَحْمَةً، وَلَا تَكَوْنُ عَلَيْهِ عَذَابًا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)). (٢)

(١) للتفصيل حول كيفية تكييف الإنسان في مجتمعه ينظر: علم الاجتماع التربوي المعاصر ص٨٤-٨٥

(٢) الإمام السجاد، علي بن الحسين: الصحيفة السجادية الكاملة ورسالة الحقوق ص٣٠٤

إنَّ التأمل في قوله (عليه السلام): (فلا تصاحبهم، ولا تحادثهم، ولا ترافقهم) يبيِّن خطر هذه الصفات على السلوك الفردي والاجتماعي، فهذه النواهي الثلاثة تؤكِّد خطر أولئك الأفراد في المجتمع، وهذا يتطلب توخِّي الحذر والدقة في إقامة العلاقات مع الآخرين؛ لأنَّ سلوك الإنسان يتأثر بالصاحب تارة، وبالمجتمع تارة أخرى، وفي الحديث إشارة واضحة على أهمية تأثير الإنسان المؤمن بالآخرين، والإفادة مما يتحلون به من صفات تربوية إيجابية، والحذر ممن هم على خلاف ذلك، وهذا يتطلب معرفة تامة، وقد ذكرت الروايات كُلَّ ما يتعلق بذلك؛ حفاظًا على روابط بناء الإنسان والمجتمع.

فنسأله تعالى أنْ تكون محاولة في نشر آثار الثقلين التربوية؛ للوصول إلى مجتمع متكامل تربويًّا، له القدرة على نشر الفضيلة والصلاح فيما بينه أولاً، وإيصال رسالته إلى المجتمعات الأخرى بعد ذلك ثانيًا؛ لنكون حقيقة رحمة للعالمين، كما كان النبي وأهل بيته (عليهم السلام).

المبحث الأول

الصدق وآثاره

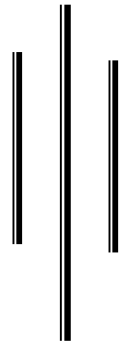

- المبحث الأول: الصدق وآثاره.

إنَّ العلاقة القائمة على الصدق هي أولى تلك العلاقات الإيجابية التي أشار إليها الحديث الشريف، والتي يجب على الإنسان أنْ يتحلَّى بها أولًا، وترتبط على أساسها مع الآخرين آخرًا، فالصدق من أعظم مكارم الأخلاق التي تبتهج النفس به، وتصبو إليه، وكُلُّ مَنْ يتصف بهذه الصفة يكون ذا مقام في المجتمع، وقد أجمع العقلاء على أهمية وعظمة هذه الصفة في الإنسان السوي، وهي موافقة للفطرة الإنسانية، وقد وردت في مدحها والتأكيد عليها أقوالٌ كثيرة، فضلاً عن كونها أساس التربية الأولى للإنسان في نشأته، والتي تعد من أهم مفردات التربية التي يحصل عليها الإنسان من البيئة الأولى التي ينشأ في أحضانها، وهما الأبوان اللذان يستقي منهما تلك المعاني السامية للأخلاق، والصدق قد يكون بالقول، فتكون أقواله صادقة، وقد يكون بالفعل، فتكون أفعاله صادقة، وقد تكون بالقول والفعل، حيث تُصَدِّقُ الأفعال الأقوال، وهذه أعلى درجات الكمال الأخلاقي الذي يجب أنْ يكون الإنسان عليه في سيرته الفردية أو الاجتماعية، وقد حث علماء الأخلاق على ذلك.

إنَّ الصدق واضح المعنى معروف لدى الناس، وهو يقابل الكذب، وقد يُقال أنه لا يحتاج إلى تعريف، ولكن يخفى على كثير أنَّ الصدق له معانٍ تتعدى مطابقة القول للواقع، قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): ((الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ أَصْلُهُمَا فِيْ الْقَوْلِ مَاضِيًا كَانَ أَوْ مُسْتَقْبَلًا، وَعْدًا كَانَ أَوْ غَيْرُهُ، وَالصِّدْقُ مُطَابَقَةُ القَولِ الضَّمِيْرَ، وَالْمُخْبِرَ عَنْهُ مَعًا، وَمَتَى ٱنْخَرَمَ شَرْطٌ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ

صِدْقًا تَامًّا، بَلْ إمَّا أَنْ لا يُوْصَفَ بِالصِّدْقِ، وَإِمَّا أَنْ يُوْصَفَ تَارَةً بِالصِّدْقِ، وَتَارَةً بِالْكَذِبِ عَلَى نَظَرَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ)). (١)

وقال ٱبن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م): ((الصِّدْقُ نَقِيْضُ الْكَذِبِ، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقًا، وَصَدَّقَهُ قَبِلَ قَوْلَهُ وَصَدَقَهُ الْحَدِيْثَ، وَرَجُلٌ صِدْقٌ وَٱمْرَأَةٌ صِدْقٌ وُصِفَا بِالْمَصْدَرِ، وصِدْقٌ صَادِقٌ كَقَوْلِهِمْ شِعْرٌ شَاعِرٌ يُرِيْدُوْنَ الْمُبَالَغَةَ وَالإِشَارَةَ، وَالصِّدِّيْقُ الدَّائِمُ التَّصْدِيْقِ، وَيَكُوْنُ الَّذِيْ يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِالْعَمَلِ، وَفِيْ التَّنْزِيْلِ ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أَيْ مُبَالِغَةٌ فِيْ الصِّدْقِ)). (٢)

من خلال ما تقدم من كلمات في تعريف الصدق، نرى أنَّ حقيقته هو مطابقة الفعل أو القول للاعتقاد، وهو ما يُعْرَف بمطابقة الواقع، والكذب عكسه، وهذا المصطلح معروف لدى الناس عامة بأنه عدم الكذب، أو عدم المخالفة عمومًا في القول، ولكن قد لا يلاحظ أنَّ الصدق تكون أعلى درجاته في السلوك الظاهر والباطن عامة، سواء أكان في القول، أم الفعل، أم الضمير، وهذا ما يمكن قراءته في التعريف، ويجب على الإنسان إنْ أراد أعلى درجات الكمال المحافظة على معان الصدق من جميع جوانبه؛ ليكون الصدق ملكة (٣) فيه راسخة.

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص٢٨٧ (صدق)

(٢) لسان العرب مادة (صدق).

(٣) المَلَكَةُ هو أنْ يأتي الإنسان بالعمل بلا تكلف أو روية، وقد بيَّن الشيخ محمد مهدي النراقي ما يتعلق بها، وعلاقتها بالأخلاق وآثارها. ينظر: جامع السعادات ١/٥٥

فعلى أساس ما تقدم فقد تم معرفة الكذب بكُـلِّ أشـكاله المقابلـة للصدق، من غير أنْ نرجع إلى تعريفه، وبيان ما يتعلق به؛ لأنه نقيض الصدق.

ولأجل الإحاطة بمصطلح الصدق وما يقابله من كذب كما ورد ذكره في الرواية، نحاول بإيجاز أنْ نسلط الضوء على ذلك من خلال مطلبين.

- المطلب الأول: الصدق في الشريعة المقدسة.

إنَّ الصـدق من الصفات الممدوحة، ومن مكارم الأخلاق التي حثت عليها الشريعة المقدسة، وهي صفة يحسنها العقل الفطري ٱبتداء، سـواء ورد فيها نص شرعي أم لم يرد، كما أنَّ الكذب صفة مذمومة، ولمَّا كانت الشريعة المقدسة من أعظم غايتها الحفاظ على الفطرة الإنسانية مما يلوِّثها، فقد تـم تنظيم ذلك في النظام الإسلامي، كما أشار تعالى إلى سموِّ هـذه الغايـة في الشرائع المقدسة من خلال بعث الأنبياء (عليهم السلام)، إذ قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. (١)

فالتزكية هي طهارة النفس من رذائل الأخلاق، وتحليتها بالفضائل التي تليـق بها، وهذه من أهم غايات البعثة، وكان الأنبياء (عليهم السلام) يؤدُّون رسالتهم على أحسن ما يكون، بل يبذلون من أجلها كُلَّ شيء؛ لإنقـاذ المجتمـع مـن الضلال والضياع، وقد حدد القرآن الكريم تلك الغايات النبيلة، بهداية البشرية

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٤

نحو صلاحها وفلاحها إنْ تمسكت بتلك التعاليم الإلهية، فقال تعالى: ﴿أَلَـر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١)، فمن أشد تلك الظلمات هي ظلمات الانحراف الفكري والأخلاقي، بل هي من أسوء الانحرافات.

إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد أكدت على عظمة الصدق وأهميته، ووجوب التخلق به في النظام الإسلامي، مع بيان آثاره في التربية، وكذلك الأمر فيما يقابله من الكذب والتحذير منه، ونحاول بإيجاز أنْ نقتصر على بعض الموارد، من خلال القرآن والسنة الشريفة في هذا المطلب.

*** أولاً: القرآن الكريم.**

- قال تعالى: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.(٢)

إنَّ الآية الشريفة ظاهرة في بيان أثر الصدق في الآخرة والمنزلة الرفيعة التي أعدها الله تعالى؛ لصدقه في تعامله مع الله تعالى، وانعكاس هذا الصدق على التربية الفردية والاجتماعية، من الناحيتين الدينية والدنيوية، قال الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) في تفسيره بما يتعلق بالصدق في الآية الشريفة:

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ١

(٢) سورة المائدة: الآية ١١٩

((يعني ما صدقوا في دارِ التكليفِ؛ لأنَّ يومَ القيامةِ لا تكليفٌ فيهِ على أحدٍ، ولا يخبرُ أحدٌ فيه إلا بالصدقِ)).[١]

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.[٢]

إنَّ الآية الشريفة تبيِّن للمؤمنين منهج الدعوة والعلاقة مع الله تعالى، ومع أوليائه وعباده، من خلال التأكيد على أمرين مهمين (التقوى والصدق)، وكلاهما لهما أعظم الآثار التربوية للفرد والمجتمع، قال الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م) بعد بيانه لآراء متعددة ومناقشتها في المراد من "الصادقين": ((المسألة الثانية: الآيةُ دالَّةٌ على فضلِ الصدقِ وكمالِ درجتِهِ، والذي يؤيِّدُهُ من الوجوهِ الدالةِ على أنَّ الأمرَ كذلكَ وجوهٌ: الأول: روي أنَّ واحدًا جاءَ إلى النبيِّ "عليه السلام" وقال: إنِّي رجلٌ أريدُ أنْ أُؤمِنَ بِكَ، إلا أنِّي أُحِبُّ الخمرَ والزنا والسرقَةَ والكذِبَ، والناسُ يقولونَ إنَّكَ تُحَرِّمُ هذهِ الأشياءَ، ولا طاقَةَ لي على تركِها بأسرِها، فَإِنْ قنعتَ مِنِّي بتركِ واحِدٍ منها آمنتُ بِكَ، فقال "عليه السلام" اتركِ الكذبَ. فقبِلَ ذلكَ ثم أَسلمَ، فلما خرجَ من عندِ النبيِّ "عليه السلام" عَرَضُوا عليهِ الخمرَ. فقالَ: إنْ شربتُ وسألَني الرسولُ عن شربِها وكذبتُ فقد نقضتُ العهدَ، وإنْ صدقتُ أقامَ الحَدَّ عليَّ فتركَها. ثم عَرَضُوا عليه الزنا. فجاءَ ذلكَ الخاطِرُ فتركَهُ. وكذا في السرقةِ. فعادَ إلى رسولِ اللهِ "صلى الله

(١) الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٦٢/٣

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٩

عليه [وآله] وسلم" وقال: ما أحسنَ ما فعلتَ، لَمَّا منعتَني عَنِ الكذبِ ٱنسدَّتْ أبوابُ المعاصِي عَلَيَّ، وتابَ عَنِ الكُلِّ)). (١)

وهناك آيات أخرى تؤكِّد ذلك، فضلًا عن وصفه تعالى لأنبيائه (عليهم السلام) بالصدق والتصديق وما يتعلق بهما، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾. (٣)

وفي مقابل هذا المقام الرفيع للصادقين، قال تعالى في الكاذبين: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾. (٥)

*** ثانيًا: السنة الشريفة.**

إنَّ الروايات الشريفة التي أكدت على عظمة الصدق ومحبوبيته كثيرة جدًّا، وكذا الأمر فيما يقابله من الكذب، وفي ذلك إشارة إلى وحدة المنهج بين الثقلين (القرآن والعترة)، ونذكر من تلك الروايات بإيجاز ما يؤكد ذلك:

---

(١) التفسير الكبير ١٦/١٦٧-١٦٨

إنَّ في الرواية درسًا تربويًّا في التعامل مع الآخرين والدعوة إلى الصلاح والمعروف، فضلاً عن أثر الصدق في الإيمان باتباع النظام الإنساني والإسلامي وأثرهما على السلوك.

(٢) سورة مريم: الآية ٤١

(٣) سورة مريم: الآية ٥٦

(٤) سورة آل عمران: الآية ٦١

(٥) سورة غافر: الآية ٢٨

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((الْجَمَالُ صَوَابُ الْقَوْلِ بِالْحَقِّ، وَالْكَمَالُ حُسْنُ الْفِعَالِ بِالصِّدْقِ)). [١]

إنَّ في الرواية دعوة تأكيد لبيان حقيقة الجمال والكمال لمن أراد أنْ يتحلى بهما، فالجمال والكمال اللذان هما من الصفات الحسنة التي يجب أنْ يكون عليها الإنسان بصورة عامة، والمسلم خاصة، إنما طريق الوصول إليهما بالصدق في القول والفعل، وهذه أعلى درجات التكامل في الصدق، كما تقدم عند بيان حقيقته، ولو تأملنا في هذين المصطلحين (الجمال، والكمال) لعرفنا عظمة النظام الإسلامي في تشريعاته، وموافقته للفطرة الإنسانية، ودعوة العقلاء إلى التمسك بذلك؛ لما فيه من آثار تربوية كبيرة، والناس بصورة عامة ترى لصاحب هذه الصفات مقامًا رفيعًا.

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ تَصْدِيْقًا لِلنَّاسِ أَصْدَقُهُمْ حَدِيْثًا، وَإِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ تَكْذِيْبًا أَكْذَبُهُمْ حَدِيْثًا)). [٢]

إنَّ الحديث واضح البيان والمعاني في تطابق الإيمان مع العمل، وأثره على السلوك، فضلًا عن بيانه للمقابلة بين الصدق والكذب كما تقدم، مع بيان دور الصدق في العلاقات الاجتماعية العامة، وبناء المجتمع على أساس الفضيلة التي توصلهم إلى المحبة والتعاون والتراحم، وهذا ما لا ينكره أي إنسان عاقل، بل هو حاجة ضرورية في التربية.

---

(١) المتقي الهندي: كنز العمال ٣/٣٤٤

(٢) الريشهري، محمد: ميزان الحكمة ٤/١٥٧٣ باب (الصدق) الحديث ١٠١٨٢

- روي عن الإمام علي (عليه السلام): ((الصِّدْقُ رَأْسُ الْإِيْمَانِ، وَزَيْنُ الْإِنْسَانِ)). [١]

إنَّ هذه الرواية تؤكد علاقة الصدق بالإيمان وما يترتب على ذلك من سلوك فردي وجماعي، وعلاقته بالإنسان بصورة عامة، فضلاً عن ملازمة التربية والأخلاق للعقيدة، فالمؤمن المتمسك بالعقيدة الإلهية لا بد أنْ تكون آثارها ظاهرة في سلوكه، فليست العقيدة أفكار ومعتقدات مجردة عن العمل والأثر، فالأخلاق هي إحدى الجوانب العملية المهمة للعقيدة في البناء الاجتماعي، ولو تباينت عن العقيدة لأصبحت مجرد طقوس يتلفظ بها الإنسان المؤمن لا فائدة عملية منها، ويكمن سر ذلك في تأكيده تعالى في كثير من آياته المباركة على ٱقتران الإيمان بالعمل الصالح، فالعقيدة التي لا تؤثر على سلوك الإنسان هي ليست كما أرادها الله تعالى، فالحديث الشريف قد أشار إلى مقام الصدق بأنه رأس الإيمان، وفيه بيان إلى أنَّ الصدق هو أعلى درجات الإيمان في آثاره على تربية الإنسان المؤمن وما يجب أنْ يكون ظاهرًا عليه، وهو كذلك لكُلِّ إنسان سواء ٱنتمى إلى عقيدة أم تجرد عنها، وفي هذا كمال التلازم بين العلم والعمل، والإيمان والأخلاق، وأنه من موارد زينته التي يتزيَّنُ بها أمام الآخرين، ويفخر بهذه الصفة، ويفخرون بصاحبها.

(١) الآمدي: عبد الواحد: غرر الحكم ودرر الكلم ص١١١

ومما ورد في آثار الصدق في الدنيا والآخرة:

- إِنَّهُ مباركٌ: روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((الصِّدْقُ مَبَارَكٌ، وَالْكَذِبُ مَشْؤُوْمٌ)). (١)

- إِنَّهُ طريقُ الجنةِ: روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ)). (٢)

- إِنَّ صاحبَهُ مَعَ اللهِ: روي عن الإمام الباقر (عليه السلام): ((أَلا فَاصْدِقُوْا؛ فَإِنَّ اللهَ مَعَ مَنْ صَدَقَ)). (٣)

- إِنَّهُ أمانَةٌ: روي عن الإمام علي (عليه السلام): ((الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ)). (٤)

وإِنَّهُ سبيلُ النجاةِ، وإِنَّهُ من أقوى دعائمِ الإيمانِ، وإِنَّهُ الفضيلةِ، والكذب طريق المهانة إلى غيره من الآثار. (٥)

---

(١) بحار الأنوار ٦٧/٧٤

(٢) ميزان الحكمة ١٥٧٢/٤ باب (الصدق).

(٣) بحار الأنوار ٣٨٦/٦٦

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ص٤١

(٥) ينظر: ميزان الحكمة ١٥٧٢/٤-١٥٧٤ باب (الصدق) ، فقد وردت لهذه الآثار وغيرها كثير من الروايات الشريفة عن المعصومين (عليهم السلام)، وقد ذكرت ما تقدم إيجازًا من غير تعليق؛ لوضوحها في التربية النفسية، وفيه كمال الموافقة بين العقيدة والفطرة.

وأخيرًا فقد عدت بعض الروايات الشريفة الصدق مقياس الإيمان والمفاضلة بين المؤمنين، من دون غيره من العبادات الشرعية التي يقوم بها المؤمن، فروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا تَنْظُرُوْا إِلَى كَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ، وَصَوْمِهِمْ، وَكَثْرَةِ الْحَجِّ، وَالْمَعْرُوْفِ، وَطَنْطَنَتِهِمْ بِاللَّيْلِ، وَلَكِنِ انْظُرُوْا إِلَى صِدْقِ الْحَدِيْثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ)) [١]، وفي الحديث ما لا يخفى من عظمة السلوك الإنساني التربوي، وأهمية مطابقة القول والعمل دائمًا، وآثار ذلك في المجتمع، من بناء عقائدي وأخلاقي وتربوي.

وقد تركتُ عرضَ الآيات والروايات التي بينت ما يتعلق بالكذب وما ورد فيه؛ تأكيدًا للمنهج الذي أحاول اتباعه في البحث من بيان الجانب الإيجابي لفضائل الأخلاق، وترك رذائلها، إذ يمكن الرجوع إليها، فإنها معروفة بالمقابلة بين الفضيلة والرذيلة، فضلًا عن أهمية عرض الجانب الإيجابي على النفس الإنسانية، وتنمية القدرات فيها، ولكني أذكر حديثًا واحدًا للتذكير بمساوئه، فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُوْرِ، وَهُمَا فِيْ النَّارِ)) [٢]، بل هو الخيانة نفسها، وهو شر القول، وأعظم خطايا اللسان، وإِنَّهُ مفارقٌ للعقلِ، وإِنَّهُ سبيلُ النفاقِ، وإِنَّهُ سببُ البُعْدِ عن اللهِ تعالى، وإِنَّهُ قرينٌ للشيطانِ إلى غير ذلك من رذائل الصفات. [٣]

(١) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار ٩/٦٨

(٢) ابن ورام، تنبيه الخواطر ١٢١/١

(٣) للتفصيل ينظر: ميزان الحكمة ٢٦٧٢/٦-٢٦٨٢ باب (الكذب).

- المطلب الثاني: الصدق في علم الأخلاق.

إنَّ الصدق من أهم الموضوعات التي تضمنتها المؤلفات الخاصة في علم الأخلاق، وقد تم بيانها عند الحديث عن فضائل الأخلاق التي يجب أنْ يتحلى بها الإنسان ومنها (الصدق)، وعن رذائل الأخلاق التي يجب أنْ يتخلى عنها الإنسان ومنها (الكذب)، مع بيان أسباب كُلٍّ منهما، وأقسامه، وآثاره، ونحاول في هذا المطلب ذكر ذلك بإيجاز.

قال الشيخ النراقي (ت١٢٠٩هـ/١٧٩٥م) في بيان ما يتعلق بالصدق بأنه: ((ضدُّ الكذبِ، وهو أشرفُ الصفاتِ المرضيةِ، ورئيسُ الفضائلِ النفسيةِ، وما وردَ في مدحِهِ وعِظَمِ فائدتِهِ من الآياتِ والأخبارِ مِمَّا لا يمكنُ إحصاؤُهُ .... ومن أنواعِ الصدقِ: الصدقُ في الشهادةِ وهو ضِدُّ شهادةِ الزورِ، والصدقُ في اليمينِ وهو ضِدُّ الكذبِ فيهِ، والوفاءُ بالعهدِ وهو ضِدُّ خلفِ الوعدِ، وهذا القسمُ من الصدقِ، أعني الوفاءَ بالعهدِ، أفضلُ أنواعِ الصدقِ القولي وأحبُّها، ولذا أثنى اللهُ تعالى على نبيِّهِ إسماعيلَ به، وقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [١]، قيل: إنَّهُ واعدَ إنسانًا في موضعٍ فلم يرجعْ إليه، فبقيَ ٱثنينَ وعشرينَ يومًا في ٱنتظارِهِ)). [٢]

وقد وردت في الكذب وآثاره من الروايات ما تقشعر منه الأبدان، وتشمئز منه النفوس، ولا يخفى أثر ذلك على النفس من الناحيتين المعنوية والمادية.

(١) سورة مريم: الآية ٥٤

(٢) جامع السعادات ٢/٣٤٣-٣٤٤

من خلال ما تقدم نرى أنَّ للصدق مصاديق متعددة تنطبق عليه، وليس هو مجرد الصدق في القول، بل هو من أظهر تلك المصاديق وأشهرها، وكذلك الأمر في الكذب؛ لذلك فإنَّ تحذير الإمام السجاد (عليه السلام) من الكذب، ومصاحبة الكذاب لئلا ينتقل الإنسان من كذب اللسان إلى مصاديقه الأخرى فيكون مذمومًا عند الله تعالى، وعند الناس.

وإنَّ الشيخ النراقي (قدس سره) قد ذكر في بيانه عن الصدق بأنَّه يقسم على أقسام ستة، ويقابله الكذب في ذلك، ينبغي معرفتها ومراعاتها في السلوك الإنساني بين الإنسان وخالقه، أو بينه وبين الآخرين، وهذه الأقسام:

- **الأول: الصدق في القول:** وهو الإخبار عن الأشياء على ما هي عليه، وكمال هذا النوع بترك المعاريض من دون ضرورة؛ حذرًا من تفهيم الخلاف، وكسب القلب صورة كاذبة، ورعاية معناه في ألفاظه التي يناجي بها الله سبحانه، فمن قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١) وفي قلبه سواه، أو قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (٢) وهو يعبد الدنيا بتقيُّد قلبه بها؛ إذ كُلُّ مَنْ تقيَّد قلبه بشيء فهو عبد له، كما دلت عليه الأخبار.

- **الثاني: الصدق في النية والإرادة:** ويرجع ذلك إلى الإخلاص، وهو تمحيص النية وتخليصها لله، بألا يكون له باعث في طاعاته، بل في جميع حركاته وسكناته إلا الله، فالشوب يبطله، ويكذب صاحبه.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٩

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٥

- **الثالث: الصدق في العزم:** أي الجزم على الخير، فإنَّ الإنسان قد يقدم العزم على العمل، فإنْ كان في باطنه جازمًا على هذا العزم، مصممًا على العمل بمقتضاه، فعزمه صادق، وإنْ كان في عزمه نوع ميل وضعف وتردد، كان كاذبًا؛ إذ التردد في العزيمة يضاد الصدق فيها.

- **الرابع: الصدق في الوفاء بالعزم:** فإنَّ النفس قد تسخو بالعزم في الحال؛ إذ لا مشقة في الوعد، فإذا حان حين العمل بمقتضاه، هاجت الشهوات وتعارضت مع باعث الدين، وربما غلبته بحيث آنحلت العزيمة، ولم يتفق الوفاء بمتعلق الوعد، وهذا يضاد الصدق؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾.[1]

- **الخامس: الصدق في الأعمال:** وهو تطابق الباطن والظاهر، وآستواء السريرة والعلانية، أو كون الباطن خيرًا من الظاهر، بألا تدلُّ أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به، بأنْ يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر، وهذا أعلى مراتب الإخلاص؛ لإمكان تحقق نوع من الإخلاص بما دون ذلك، وهذا النوع من الصدق –أعني مساواة السر والعلانية، أو كونه خيرًا منها– أعز من الأنواع السابقة عليه؛ ولذلك كرر طلبه من الله سيد الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) في دعواته بقوله: ((اللهُمَّ آجعلْ سريرتي خيرًا من علانيتي، وآجعلْ علانيتي صالحةً)).

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٣

- **السادس: الصدق في مقامات الدين:** من الصبر، والشكر، والتوكل، والحب، والرجاء، والخوف، والزهد، والتعظيم، والرضا، والتسليم وغير ذلك. وهو أعلى درجات الصدق وأعزها، فمن ٱتصف بحقائق هذه المقامات ولوازمها وآثارها وغاياتها فهو الصدِّيق الحق، ومن كان له فيها ما يطلق عليه الاسم دون ٱتصافه بحقائقها وآثارها وغاياتها فهو كاذب فيها. (١)

إنَّ التأمل والتحقيق في هذه الأقسام الستة للصدق وما يقابلها من الكذب يؤكد عظمة وآثار هاتين الصفتين كما وردت في الأحاديث الشريفة التي أكدت تأكيدًا كبيرًا على التمسك بالصدق، والحذر من الكذب، فضلًا عن أنَّ الوصول إلى هذا المقام يحتاج إلى جهاد عظيم للنفس، بعد العلم والمعرفة، ولو رجعنا إلى هذه الأقسام الستة لرأينا الدقة المتناهية في أوصافها، فالقسم الأول هو المتعارف والمتبادر إلى الأذهان عند الحديث عن الصدق، وهو المتعلق باللسان، فكثير من الآيات والروايات الشريفة قد تحدثت عن هذا القسم؛ لعلاقته بالتعامل الظاهري، وأثر هذا التعامل على التربية والعمل ظاهرًا، وفيه تهذيب لهذه الجارحة (اللسان) من الرذائل، وتحليها بالفضائل، فضلاً عمَّا ورد من روايات كثيرة فيما يتعلق باللسان وآثاره على الجوارح الأخرى الظاهرة، وعلى الباطن.

وفي القسم الثاني نرى الارتقاء في درجات الصدق من الظاهر إلى الباطن وأثر الصدق على تهذيب النية في الأعمال وما يتعلق بها من إخلاص، فضلاً عن

(١) جامع السعادات ٢/٣٤٥-٣٤٦

الأقسام الأخرى التي ترتقي بالإنسان إلى أعلى مراتب الكمال في التعامل مع الله تعالى، ومع الآخرين، وإنَّ التأمل في هذه الأقسام المتقدمة يبيِّن عظمة هذه الصفة التي أكَّدَ عليها القرآن الكريم، ووصف أنبياءه به، وكذلك المقامات العظيمة التي وردت في الروايات الشريفة.

وقال الشيخ "ناصر مكارم الشيرازي" في بيانه لعظمة الصدق وآثاره، وخصوصًا إذا ٱجتمع مع صفات تكاملية أخرى: ((إنَّ هذه الصفة هي أحدى العلائم المهمة في عناصر الشخصية لكُلِّ إنسان، وعندما يجتمع الصدق مع الأمانة تشكل من ذلك أساس الشخصية الإنسانية السوية والكاملة، بحيث لا يمكن إطلاق ٱسم الإنسان الحقيقي عند مَنْ يخلو من هاتين الصفتين الأخلاقيتين، وهاتان الصفتان لهما جذر وأصل مشترك؛ لأنَّ الصدق ليس شيئًا سوى الأمانة في القول، والأمانة ليست شيئًا سوى الصدق في العمل، ولهذا السبب فقد وردت في الروايات الإسلامية وكلمات المعصومين "عليهم السلام" هاتان الصفتان أي "صدق الحديث وأداء الأمانة" سوية، وإلى جانب هذه الصفة نرى وجود صفات ممتازة أخرى في منظومة القيم الأخلاقية لدى الإنسان، والتي هي في الواقع من قبيل اللازم والملزوم؛ لأنَّ الصادقين هم عادة يتحلون بالشجاعة، وصراحة اللهجة، وقلة الطمع، والإخلاص، والابتعاد عن الإفراط في الحب والبغض والتعصب، في حين أنَّ مَنْ يعيش الكذب في سلوكه وأقواله فهو يتحلى عادة بصفة الخوف، والرياء، والتعصب، واللجاجة، والطمع، والإفراط في الحب والبغض، وبكلمة واحدة يمكن القول: إنَّ الصدق والأمانة مفتاحان للكشف عن باطن الأشخاص في أبعاد مختلفة،

ولذلك في كلمات المعصومين أنَّ هاتين الصفتين تمثلان الأداة البليغة لاختبار الأشخاص، فلو أردت معرفة حسن الشخص أو سوئه، فعليك بامتحانه واختباره بالصدق وأداء الأمانة)). (١)

إنَّ أهمية الصدق في التعامل مطلقًا وأثره في الروابط الاجتماعية يعد من أهم الأسباب التي دعا إليها الإمام السجاد (عليه السلام) في حديثه، وحذرمن نقيضه وهو الكذب، حيث قال في تحذيره كما تقدم: ((إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ يُقَرِّبُ لَكَ الْبَعِيْدَ، وَيُبَعِّدُ لَكَ الْقَرِيْبَ))، فقد تبيَّن لنا أهمية هذا التحذير أولًا، وآثاره ثانيًا، وعلاقته بالخيانة ثالثًا، فالكاذب هو الذي لا يعكس الصورة الحقيقية لصاحبه؛ لذا كان تشبيهه (عليه السلام) بالسراب الذي لا حقيقة له، فالسراب قد أشار إليه القرآن الكريم بالنسبة للذين هم بعيدون عن الحقيقة والواقع، فقال تعالى في وصف أعمال الكافرين التي تخالف الحقيقة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٢)، قال الراغب الأصفهاني: ((والسرابُ اللامعُ في المفازةِ كالماءِ؛ وذلكَ لانسرابِهِ في مَرأى العينِ، وكانَ السرابُ فيما لا حقيقةَ لَهُ كالشرابِ فيما لَهُ حقيقةٌ)) (٣)، والأمر كذلك في الكاذب عندما يريد أنْ يصوِّر لصاحبه أمرًا، من حيث مخالفته في الواقع، وجعله لامعًا أمام صاحبه وكأنه

(١) الأخلاق في القرآن ٣/١٧١-١٧٢

(٢) سورة النور: الآية ٣٩

(٣) المفردات في غريب القرآن ص٢٣٧ (سرب).

من حيث مخالفته في الواقع، وجعله لامعًا أمام صاحبه وكأنه حقيقة، فتكـــون علاقة الخيانة هي أساس التعامل، فيحتاج الإنسان أنْ يكون على حذر تام في التعامل مع الآخرين؛ ليستطيع أنْ يميز الصادق من الكاذب، والطيـــب مـــن الخبيث، فإنَّ ذلك له أثر كبير في التربية الفردية والاجتماعية.

المبحث الثاني

الإيمان وآثاره

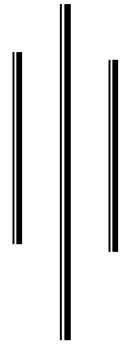

- المبحث الثاني: الإيمان وآثاره.

إنَّ الإيمان بالله تعالى والتمسك بأحكام الشريعة له أثر كبير في تهذيب النفس الإنسانية وتربيتها تربية صالحة، تعكس ذلك على الشخصية الإسلامية، وحديث الإمام السجاد (عليه السلام) قد حذَّر من مصاحبة الفاسق؛ لما فيه من آثار سيئة على الفرد والمجتمع، ونتحدث عن الإيمان في هذا المبحث لما يقابل الفسق بالمعنى الأعم وهو الطاعة والانقياد لأمر الله تعالى، لا المعنى الأخص الذي يقابل العدالة كما هو في علم الحديث. (١)

فالفسق تم تعريفه بأنَّه: ((التَّرْكُ لِأَمْرِ الله، وَفَسَقَ يَفْسُقُ فِسْقًا وَفُسُوْقًا، وَكَذَلِكَ الْمَيْلُ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، كَمَا فَسَقَ إِبْلِيْسُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)). (٢)

وقال الراغب الأصفهاني: ((فَسَقَ فُلانٌ خَرَجَ عَنْ حِجْرِ الشَّرْعِ، وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ فَسَقَ الرُّطَبُ إِذَا خَرَجَ عَنْ قِشْرِهِ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفِسْقُ يَقَعُ بِالْقَلِيْلِ مِنَ الذُّنُوْبِ وَبِالْكَثِيْرِ، لَكِنْ تُعُوْرِفَ فِيْمَا كَانَ كَثِيْرًا، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ الْفَاسِقُ لِمَنِ ٱلْتَزَمَ حُكْمَ الشَّرْعِ وَأَقَرَّ بِهِ ثُمَّ أَخَلَّ بِجَمِيْعِ أَحْكَامِهِ أَوْ بِبَعْضِهِ، وَإِذَا قِيْلَ لِلْكَافِرِ الأَصْلِيِّ فَاسِقٌ فَلأَنَّهُ أَخَلَّ بِحُكْمِ مَا أَلْزَمَهُ الْعَقْلُ، وَٱقْتَضَتْهُ الْفِطْرَةُ)). (٣)

---

(١) ينظر: الفضلي، عبد الهادي، أصول الحديث ص١١١-١١٢

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين مادة (فسق).

(٣) المفردات في غريب القرآن ص٣٩٥ (فسق).

ومما ورد في بيان المراد من الإيمان: ((وَالْإِيْمَانُ يُسْتَعْمَلُ تَارَةً اسْمًا لِلشَّرِيْعَةِ الَّتِيْ جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ "عليه الصلاة والسلام"، وَيُوْصَفُ بِهِ كُلُّ مَنْ دَخَلَ فِيْ شَرِيْعَتِهِ مُقِرًّا بِاللهِ وَبِنُبُوَّتِهِ، وَتَارَةً يُسْتَعْمَلُ عَلَى سَبِيْلِ الْمَدحِ، وَيُرَادُ بِهِ إِذْعَانُ النَّفْسِ لِلْحَقِّ عَلَى سَبِيْلِ التَّصْدِيْقِ، وَذَلِكَ بِاجْتِمَاعِ ثَلاثَةِ أَشْيَاءٍ: تَحْقِيْقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِحَسَبِ ذَلِكَ بِالْجَوَارِحِ)). [1]

إنَّ التعريف واضح البيان في أنَّ الإيمان يقابل الفسق بالمعنى الأعم كما تقدم، وله علاقة بالجوارح والجوانح، وليس هو مجرد لفظ يتلفظ به مَنْ يؤمن بعقيدة معينة، وإنما يترتب عليه التزامات متعددة؛ لذا نبيِّنُ ما يتعلق بآثار الإيمان على الشخصية، ودورها في بناء العلاقات الاجتماعية، والوصول إلى مجتمع متكامل في مكارم الأخلاق من خلال بيان عظمة الإيمان في الشريعة المقدسة، وأهميته، ومقامه، وما يترتب عليه.

- المطلب الأول: الإيمان في الشريعة المقدسة.

إنَّ الشريعة المقدسة قد اعتنت كثيرًا جدًّا فيما يتعلق بالإيمان، وأثره على الإنسان بصورة عامة، وعلى المسلم بصورة خاصة؛ وذلك لأهمية العقيدة في حياة الإنسان، وقد كتبت في ذلك مؤلفات خاصة كثيرة، ونحاول بإيجاز أن نذكر مقام الإيمان من خلال مصدرَيِ الشريعة المقدسة في نظامها التكاملي الإنساني.

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص٣١ (أمن).

*** أولاً: القرآن الكريم.**

إنَّ القرآن الكريم في كثير من آياته قد أكَّد على الإيمان من جوانبه المتعددة، من حيث الاعتقاد، والمقام، والآثار، وصفات المؤمنين، ودرجاتهم، ومنزلتهم في الدنيا والآخرة وغير ذلك، ومن تلك الآيات الشريفة نذكر:

- قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾. (١)

إنَّ الآية المباركة تبين عظمة الإيمان ومقامه عند الله عز وجل؛ لذلك قد جعل فيه مقامين معنويين فطريين مهمين لمن يعتقد به، وهما (الحب والزينة)، فالإنسان بطبيعته السليمة يحتاج إلى عقيدة يؤمن بها، ليكون بناء شخصيته على أساسها، وأعظم بناء للشخصية عندما يكون مرتبطًا بالخالق المنعم عليه، فتكون العقيدة حينئذ مصدر حب في التوجه إلى الخالق والمخلوقين، ومصدر زينة وسرور في الطاعات، وكذلك الآية قد أشارت إلى ما يقابل الإيمان وما يتعلق به، قال السيد الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ/١٩٨١م): ((والمرادُ بتحبيبِ الإيمانِ إليهم جعلَهُ محبوبًا عندهُمْ، وبتزيينِهِ في قلوبِهِمْ تحليتَهُ بجمالٍ يجذبُ قلوبهُمْ إلى نفسِهِ، فيتعلَّقونَ به، ويُعرضونَ عمَّا يلهيهِمْ عنهُ، وتكريهُ الكفرِ وما يتبعُهُ إليهِمْ جعلها مكروهَةً عندَهُمْ، تتنفَّرُ عنها نفوسُهُمْ)). (٢)

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٧

(٢) محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ١٨/٣١٧

فالحب والكراهة لهما علاقة بالإيمان ، بل على أساسها نرى أنَّ الإنسان قد يقوم بأعمال كبيرة تدل على قوة شخصيته، فالإيمان له أهمية كبيرة في طاعة الله والتقرب إليه بأنواع العبادات، التي تم تكليفه بها من قبل الله تعالى، والتي هي سبيل من سبل التربية النفسية والاجتماعية.

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (١)

إنَّ الآية الكريمة تبيِّن مقام المؤمنين عند الله تعالى من حيث التأييد والنصر الإلهي لهم، وذلك بسبب الطاعة والانقياد لأوامره عز وجل، والتمسك بالشريعة المقدسة وتعاليمها، وفي ذلك كرامة لهم من الله، قال الزمخشري (ت٥٣٧هـ/١١٤٣م) فيما يتعلق بنصر المؤمنين بأنه: ((تعظيمٌ للمؤمنينَ، ورفعٌ من شأنهِمْ، وتأهيلٌ لكرامةٍ سنيَّةٍ، وإظهارٌ لفضلِ سابقةٍ ومزيَّةٍ، حيثُ جعلَهُمْ مستحقينَ على اللهِ أنْ ينصرَهُمْ، مستوجبينَ عليه أنْ يظهرَهُمْ ويظفرَهُمْ)). (٢)

إنَّ نصر الله تعالى للمؤمنين قد أكدت عليه آيات أخرى وروايات شريفة متعددة، فالمؤمن له مقام عظيم عند الله تعالى، فهو وليه، وناصره، ومحبه، ومعه، ومنجيه، والمدافع عنه، ويكفيه فخرًا أنه قد وعده بالدفاع عنه مهما تعرَّض إلى أذى وبلاء، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾. (٣)

---

(١) سورة الروم: الآية ٤٧

(٢) محمود بن عمر: تفسير الكشاف ٣/٤٩٠

(٣) سورة الحج: الآية ٣٨

فالنصر الإلهي للمؤمنين والدفاع عنهم قد يكون في الدنيا، أو في الآخـــرة، أو فيهما معًا، فالنصر لا يُنظر إلى أبعاده المادية الزمانية الآنية فحسب، بل له أبعاد معنوية تمتد لأزمان متعددة، فهذه العلاقة الإيمانية الصادرة من المخلوق تجاه خالقه لها أعظم الأثر على الإنسان، وخصوصًا إنْ كانت قائمة عـــلى أســـاس المعرفة والعقيدة الخالصة، وهذا ما كان من نصر الله تعالى لأنبيائه ورسله على المعاندين والكافرين برسالاتهم، فقد خَلَّدَ الله رسله، وأهلك أعـــداءهم، وإنَّ ذكرهم في كتابه المجيد وبيان مواقفهم ما هو إلا صورة مشرقة من صور النصر والتأييد الإلهي لعباده المؤمنين.

وفي مقابل هذا المقام للمؤمنين، قال تعالى في الفاسقين: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْـــدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. (٢)

*** ثانيًا: السنة الشريفة.**

إنَّ الروايات الواردة في بيان مقام الإيمان وعظمته وآثاره كثيرة، وكُلُّها تؤكد أهمية الارتباط العقائدي بين الإنسان وخالقه، وانعكاس ذلك على النفس الإنسانية وتربيتها، ودوره في إقامة العاقات الاجتماعية القائمة عـــلى أُســـسٍ ومبادىءٍ، لا يمكن لصاحبه أنْ يضحي بها أمام الشهوات واللـــذات الماديـــة الدنيوية، بل يحافظ عليها مهما كان ثمن ذلك، ونذكر بعض تلك الروايـــات الشريفة التي تبيِّن حقيقة الإيمان وآثاره:

---

(١) سورة المنافقون: الآية ٦

(٢) سورة المائدة: الآية ٢٦

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أَفْضَلُ الْإِيْمَانِ أَنْ تُحِبَّ لله، وَتُبْغِضَ لله، وَتُعْمِلَ لِسَانَكَ فِيْ ذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهَ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَنْ تَقُوْلَ خَيْرًا أَوْ تَصْمُتَ)). (١)

إنَّ في الحديث إشارة واضحة إلى أهمية الإيمان على سلوك الفرد بأنْ يجعل من نفسه ميزانًا للتعامل مع الآخرين، يقوم على أساس تبادل المحبة والكراهة للآخرين بما يكون لنفسه، وفي ذلك كمال العلاقات الصادقة، القائمة على الإيمان، من خلال الإيثار لحوائج الإخوان، فالحديث قد أكد على جوانب متعددة يمكن للإنسان أنْ يستثمرها في علاقته العقائدية مع الله تعالى، ومع الآخرين، فالحب والبغض من المفاهيم الإنسانية التي يشترك فيها جميع الناس، فضلاً عن عقيدتهم وقوميتهم وأي أنتماء آخر، والإسلام أراد في تشريعاته أنْ يجعل من المسلمين المثال الأعظم للإنسانية، من خلال تكريمهم بنظام كامل يوصلهم إلى ذلك، وفي هذا الحديث غاية التكامل الإنساني على المستوين الفردي والجماعي، القائم على نكران الذات وذوبانها في الله تعالى، وإيثار الآخرين على الأنا، ومشاركتهم في أعمال الخير والسعادة والنجاح، وفي كُلِّ ذلك أعظم الصور التربوية.

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((الْمُؤْمِنُ مَنْفَعَةٌ، إِنْ مَاشَيْتَهُ نَفَعَكَ، وَإِنْ شَاوَرْتَهُ نَفَعَكَ، وَإِنْ شَارَكْتَهُ نَفَعَكَ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ مَنْفَعَةٌ)). (٢)

---

(١) كنز العمال ١/٣٧

(٢) ميزان الحكمة ١/٢٠٧ باب (الإيمان) الحديث ١٤٣٤

إنَّ الحديث يبيِّن أثر الإيمان في التربية الفردية والاجتماعية، فالمؤمن مصدر منفعة بالنسبة للآخرين، فلا يجعل تحقيق رغبات نفسه على أساس الآخر، بل يتبادل معه المعاني والمبادىء الإنسانية، والإيمانية السامية.

- روي عن الإمام علي (عليه السلام): ((أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِيْمَانًا، مَنْ كَانَ للهِ أَخْذُهُ، وَعَطَاهُ، وَسَخَطُهُ، وَرِضَاهُ)). [١]

إنَّ الحديث يؤكِّد على أثر الإيمان في شخصية الإنسان المؤمن، وآرتقاؤه في التعامل مع الله تعالى والآخرين، فهو يرتقي بنفسه لتكون أعماله كُلُّها لله تعالى، وليس لنفسه، أو لأجل منفعة شخصية محدودة، بل هو مصدر عطاء للآخرين ينطلق من الله عز وجل، في ذلك كمال للإنسان من جوانب متعددة.

- روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((الْمُؤْمِنُ حَلِيْمٌ لا يَجْهَلُ، وَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ يَحْلَمُ، وَلا يَظْلِمُ، وَإِنْ ظُلِمَ غَفَرَ، وَلا يَبْخَلُ، وَإِنْ بُخِلَ عَلَيْهِ صَبَرَ)). [٢]

إنَّ الحديث يظهر لنا صفات ثلاث مهمة، يجب أنْ تكون على أساسها العلاقة بين الناس، وخصوصًا المؤمنين منهم، فالحلم والصفح والصبر من أهم الأُسس التي يجب أنْ يتم تبادلها الأصحاب بينهم، وهذا ما نراه خصوصًا في المؤمن الذي يعرف قدر الإيمان وأثره في الشريعة.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ص١١٥

(٢) الكافي ٢/٢٢٩ باب (المؤمن وعلاماته وصفاته) الحديث ١

- روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((لا يَكُوْنُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا أَبَدًا حَتَّى يَكُوْنَ لِأَخِيْهِ مِثْلُ الْجَسَدِ، إِذَا ضَرَبَ عَلَيْهِ عِرْقٌ وَاحِدٌ تَدَاعَتْ لَهُ سَائِرُ عُرُوْقِهِ)).[1]

إنَّ في هذا الحديث دلالة واضحة في تأكيد الإمام (عليه السلام) على بيان آثار الإيمان في العلاقات الاجتماعية، وما في ذلك من جانب تربوي مهم في ترتيب العلاقات في النظام الإسلامي.

إنَّ هذه الأحاديث الشريفة المتقدمة تظهر مقام الإيمان، وما يترتب عليه، وهي آثار عظيمة، ومهمة جدًّا في بناء المجتمع القائم على المحبة والمودة والمبادىء، وليس المجتمع القائم على المصالح الشخصية، والتكالب والعدوان من أجل تحقيقها، وإنْ كان في ذلك هدم أركان الصحبة والإخوة، وهذا ما يمكن قراءته في صفات الفاسق، التي حذرت الآيات والروايات منه؛ لذلك نرى أنَّ تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) أكدت على حسن ٱختيار الأصحاب والإخوان؛ لأهمية ذلك في العلاقات الاجتماعية، فضلًا عن السلوك الفردي، وإنَّ ٱتخاذ الصاحب ينبغي أنْ يكون بعد ٱختباره لمدة معينة، وهذا الأمر لا تخفى أهميته في أثر الصحبة ودوامها، والواقع يبرهن ذلك جليًّا؛ لأنَّ الصاحب والأخ في التشريع الإسلامي تترتب على علاقته آثار، لها دور كبير في حقوق تلك العلاقة، ومنها المحبة، والمواساة، والتعاون، والإيثار، والتضحية

(١) ميزان الحكمة ١/١٩٣ باب (الإيمان) الحديث ١٢٨٧

وغير ذلك، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان ذلك: ((خَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرِ، وَجَذَبَكَ إِلَيْهِ، وَأَمَرَكَ بِالْبِرِّ، وَأَعَانَكَ عَلَيْهِ)). [١]

إنَّ هذه الروايات وغيرها تؤكِّد شدة تحذير الإمام السجاد (عليه السلام) من مصاحبة الفاسق؛ لكونه لا يمتلك أي صفة أخلاقية تردعه عن الشر والسوء والعدوان، فلا يكون ناصرًا لصاحبه المؤمن في أي موقف من المواقف التي تحتاج إلى نصرة وتعاون، بل يبحث عن مصلحته الفردية وأنانيته، وتحقيق شهوته ولذته، وإنْ كانت على حساب علاقته مع صاحبه، وقد مَثَّل الإمام عن سفاهة ذلك بقوله: ((فَإِنَّهُ بَايِعُكَ بِأَكْلَةٍ أَوْ أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ)).

ختامًا فإنَّ العقل يوافق الشرع في أهمية العقيدة والإيمان في تهذيب سلوك الفرد من خلال ٱلتزام الأنظمة الإلهية التي تنظم الحياة العامة للأمة، ومن ذلك العلاقات الاجتماعية المختلفة، القائمة على المحبة والتعاون، والتضحية والإيثار، يقول الأستاذ عباس ذهيبات: ((إنَّ العقيدةَ الإسلاميةَ لها فضلٌ كبيرٌ على مناهجِ التربيةِ التي تسعى لبناءِ الإنسانِ؛ لتأكيدها على دورِ الإيمانِ والعلمِ معًا في بناءِ شخصيةِ الإنسانِ .... على أنَّ أشدَّ ما يسترعي الانتباهَ أنَّ ذلكَ الإنسانَ الجاهليَّ الدائرَ حولَ ذاتهِ ومنافعها قد غَدَا بتفاعلهِ مع إكسيرِ العقيدةِ يضحِّي بالنفسِ والنفيسِ في سبيلِ دينهِ ومجتمعهِ، وبلغتْ آفاقُ التحوُّلِ في نفسهِ إلى المستوى الذي يُؤثرُ فيهِ مصالحَ أبناءِ جنسهِ على منافعِ نفسهِ)). [٢]

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ص١٩٦

(٢) دور العقيدة في بناء الإنسان ص٤٢-٤٣

- المطلب الثاني: الإيمان في علم الأخلاق.

إنَّ الإيمان والتصديق بالعقيدة من أهم الموضوعات التي تضمنتها المؤلفات الخاصة في علم الأخلاق، وقد تم بيانها عند الحديث عن فضائل الأخلاق التي يجب أنْ يتحلى بها المؤمن، فالإيمان بالله تعالى هو الالتزام بما ورد من تعاليم الشريعة المقدسة التي تبغي التكامل الإنساني في الجانبين المادي والمعنوي، وهذا ما كان بارزًا في تلك التعاليم كما تقدم، وأثرها على الفرد والمجتمع في زمن البعثة الشريفة خاصة، وقد أشار العلماء إلى ذلك في مؤلفاتهم إجمالاً أو تفصيلاً، قال ٱبن مسكويه (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م): في بيان مسؤولية الآباء في التربية الإيمانية والعقائدية لأبنائهم: ((والشريعةُ هي التي تقوِّمُ الأحداثَ، وتعوِّدُهُمُ الأفعالَ المرضيَّةَ، وتُعِدُّ نفوسَهُمْ لقبولِ الحكمةِ، وطلبِ الفضائلِ، والبلوغِ إلى السعادةِ الإنسيَّةِ بالفكرِ الصحيحِ ، والقياسِ المستقيمِ وعلى الوالدينِ أخذهُمْ بها، وسائرِ الآدابِ الجميلةِ بضروبِ السياساتِ من الضروبِ، إذا دَعَتْ إليهِ الحاجةُ، أو التوبيخاتُ إنْ صَدَّتهم، أو الأطماعُ في الكراماتِ أو غيرِها، مما يميلونَ إليهِ من الراحاتِ، أو يحذرونَهُ من العقوباتِ، حتى إذا تَعَوَّدوا ذلكَ وٱستمروا عليهِ مدةً من الزمانِ كثيرةً، أمكنَ فيهِمْ حينئذٍ أنْ يُعَلَّمُوا براهينَ ما أخذوهُ تقليدًا، وينبَّهوا على طُرُقِ الفضائِلِ وٱكتسابِها، والبلوغِ إلى غاياتِها بهذهِ الصناعَةِ)). [1]

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص١٢٠

إنَّ في كلامه (قدس سره) دلالة واضحة على أهمية الأخـلاق وأثـر العقيدة فيها، من خلال التربية الأولية للإنسان، وهي التربية البيتية التي تختص بالأسرة، وخصوصًا ما يقوم به الأبوان، وقد وردت روايات متعددة تؤكِّد هذا الدور الأول لمراحل التربية، ولو أننا تأملنا في حقيقة العبادات التي شرعهـا الإسلام لرأينا حقيقة التربية الإلهية في تهذيب النفس الإنسانية مما يلوِّث تلك الفطرة السليمة.

فمثلاً لو نظرنا إلى حقيقة الصلاة التي هي عمود الدين لرأينا تلـك الغايـات العظيمة التي تترتب على سلوك المؤمنين عند أدائهم لها، حيث قال تعـالى: ﴿اُتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْـشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [1]، فالصلاة تؤدي أعظم غاية من النهي عن الفحشاء والمنكر الشخصي والنوعي، والآيات والروايات قـد بيَّنت ذلك، ومما قال الشيخ "النراقي" في بيان آثارها بعد بيانه لما له أثـر في تكاملها: ((اَعلمْ أنَّ كونَ الأمورِ المذكورةِ روحُ الصلاةِ وحقيقتُها، والمقصودُ الأصليُّ منها أمرٌ ظاهرٌ، إذ الغرضُ الأصليُّ من العباداتِ والطاعاتِ هي تصفيةُ النفسِ وتصقيلُها، وليسَ لنفسِ الحركاتِ الظاهرةِ كثيرُ مدخليةٍ فيها)). [2]

وإنَّ في قوله (قدس سره): ((وليسَ لنفسِ الحركاتِ الظاهرةِ كثـيرُ مدخليـةٍ فيها)) تكمن حقيقة العبادة والعقيدة وأثر الإيمان بهما على الإنسان في تربيتـه

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥

(٢) جامع السعادات ٣/٣٢٥

وصلاحها، فليس الغاية أداء العبادة فقط، من غير تحقيق غاية كُلٍّ منها، وهـذا يحتاج إلى الإيمان أولاً بعظمة المشرِّع، ومعرفة التشريع ثانيًا، والعمل ثالثًـا لتظهر تلك الآثار العظيمة على الفرد والمجتمع.

وهكذا الأمر في العبادات الأخرى كلها من آثار تربوية عظيمة، ففي الصوم نرى التأكيد على الهدف منه وهو الوصول إلى منزلة التقوى، حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١)، والتقوى لها أعظم الأثر على الإنسان المؤمن في تربيته، وفي الحج وما فيه من آثار عظيمة في التكامل الإنساني بالنسبة للمؤمنين، فضلاً عما فيه من آثار الوحدة الإنسانية الظاهرة، وما يترتب عليها من أبعاد، حيث قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢)، وغيرها من العبادات التي فرضها الله تعالى، وقد ذكر العلماء أثارها وعظمتها في التربية بتفصيل، وقد ذكرتُ هذه الأمثلة -إجمالاً- من الأعمال التي يقوم به المؤمن لبيان عظمة الإيمان في الأخلاق وتنميتها، وأقوال علماء الأخلاق فيها، ويمكن الرجوع إلى تلك المؤلفات للاطلاع بتفصيل.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٣

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٧

المبحث الثالث

الكرم والسخاء وآثارهما

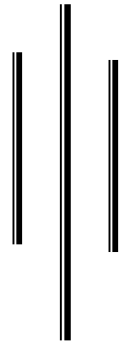

- المبحث الثالث: الكرم والسخاء وآثارهما.

إنَّ الكرم والسخاء من الصفات الممدوحة، التي لها أثر في تهذيب النفس، والوصول بها إلى مكارم الأخلاق، وقد حث العقل على الكرم والسخاء، سواء في الجوانب المادية أم المعنوية، فضلاً عن تأكيد الشريعة المقدسة على ذلك، وتقابل هذه الفضيلة صفة البخل، والتي هي من الرذائل كما ورد ذلك في مباحث علم الأخلاق، وقد يتصوَّر أنَّ الكرم يقال فيما يتعلق بتقديم الأموال إلى الآخرين، ولكنه ينطبق على ما هو أعمق من ذلك فيما يتعلق بالأخلاق والسجايا أيضًا، وهذا ما أكده العلماء في بيانهم لمعنى الكرم.

قال الراغب الأصفهاني: ((الْكَرَمُ إِذَا وُصِفَ اللهُ تَعَالَى بِهِ فَهُوَ ٱسْمٌ لِإِحْسَانِهِ، وَإِنْعَامِهِ الْمُتَظَاهِرِ، نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [1]، وَإِذَا وُصِفَ بِهِ الْإِنْسَانُ فَهُوَ ٱسْمٌ لِلْأَخْلاقِ وَالْأَفْعَالِ الْمَحْمُوْدَةِ الَّتِي تَظْهَرُ مِنْهُ .... وَالْإِكْرَامُ وَالتَّكْرِيْمُ أَنْ يُوْصَلَ إِلَى الْإِنْسَانِ إِكْرَامٌ، أَيْ نَفْعٌ لا يُلْحِقُهُ فِيْهِ غَضَاضَةٌ)). [2]

إنَّ هذا القول فيه تأكيد على أنَّ الكرم يشمل الأخلاق والصفات الحسنة، وليس المال فقط، وفي ذلك آثار مهمة على النفس.

وقال الشيخ الطريحي (ت١٠٨٥هـ/١٦٧٤م): ((وَالْكَرِيْمُ صِفَةٌ لِكُلِّ مَا يُرْضِيْ وَيُحْمَدُ، وَمِنْهُ وَجْهٌ كَرِيْمٌ أَيْ مَرْضِيٌّ فِيْ حُسْنِهِ وَبَهَائِهِ، وَكِتَابٌ كَرِيْمٌ مَرْضِيٌّ فِيْ

(١) سورة النمل: الآية ٤٠

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٤٤٧ (كرم).

مَعَانِيْهِ .... وَالْكَرِيْمُ هُوَ الْجَامِعُ لِأَنْوَاْعِ الْخَيْرِ وَالشَّرَفِ وَالْفَضَائِلِ، وَالْكَرَمُ إِيْثَارُ الْغَيْرِ بَالْخَيْرِ)). [١]

إنَّ في قوله: (والكرمُ إيثارُ الغيرِ بالخيرِ) واضح الدلالة في ٱنطباقه على الأمور المادية والمعنوية، ولكن على الرغم مما تقدم فإنَّ حديث الإمام السجاد (عليه السلام) وتحذيره من مصاحبة البخيل يراد به ما يتعلق بالمال من دون غيره من المصاديق الأخرى، والبخل معروف في مقابلته للكرم، كما ورد في كلمات الأعلام، قال ٱبن منظور: ((والبَخْلُ وَالبُخُوْلُ ضِدَّ الْكَرَمِ، وَقَدْ بَخِلَ يَبْخَلُ بُخْلًا وبَخَلًا فَهُوَ بَاخِلٌ ذُوْ بُخْلٍ، وَالْجَمْعُ بُخَّالُ وَبَخِيْلُ وَالْجَمِيْعُ بُخَلاءُ)). [٢]

ولبيان ما يتعلق بأهمية الكرم وأثره على المستويين الفردي والاجتماعي، نحاول بإيجاز بيان ذلك من خلال تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة.

- المطلب الأول: الكرم والسخاء في الشريعة المقدسة.

إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد أَوْلَت تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس عامة، والمسلمين خاصة ٱهتمامًا كبيرًا، والنصوص في ذلك كثيرة جدًّا، وفيما يتعلق بتهذيب النفس من الأخلاق غير المرضية ومنها البخل، ومعالجة ذلك بالتحلي بفضائل الأخلاق فيما يقابل ذلك بالكرم، فإنَّ هناك نصوص من القرآن والسنة قد أكدت عليهما؛ لأهميته وأثره في تنظيم العلاقات، ونحاول بإيجاز بيان ما يتعلق بهما:

---

(١) فخر الدين: مجمع البحرين ١٥٧/٦

(٢) لسان العرب مادة (بخل).

- أولاً: القرآن الكريم.

إنَّ القرآن الكريم قد عالج البخل في عدد من الآيات المباركة صراحة؛ لأهمية ذلك في الأخلاق العامة، التي توافق الفطرة الإنسانية، وتدعو إليها الطبيعة البشرية، ومن تلك الآيات:

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾. (١)

إنَّ الآية المباركة في مجال بيان بعض موارد الحكمة في تهذيب النفس، وهو الابتعاد عن البخل والتبذير لما فيهما من آثار سيئة وعواقب وخيمة على الإنسان، وفي ذلك دعوة إلهية نحو تكامل النفس وإيجاد السبيل الأوسط في التعامل مع الآخرين من دون إسراف وبخل، وهذا هو منهج عقلي تؤكد الشريعة عليه، فالعقلاء يرون أنَّ التبذير هو من الجهل والسفاهة، وأنَّ البخل من الجشع والتكالب على الدنيا، وفي كلا الحالين نرى أسوء الأثر على النفس الإنسانية. (٢)

قال السيد الطباطبائي في تفسيره للآية الشريفة: ((جعلُ اليدِ مغلولةً إلى العُنُقِ كنايةً عن الإمساكِ، كمَنْ لا يعطي ولا يهبُ شيئًا لبخلِهِ وشُحِّ نفسِهِ، وبسطُ اليدِ كنايةٌ عن إنفاقِ الإنسانِ كُلَّ ما في وُجْدِهِ، بحيثُ لا يُبقي شيئًا كَمَنْ

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٩

(٢) لقد تم بيان ما يتعلق بهذه الصفة من آثار سلبية على النفس الإنسانية وعلاقاتها العامة. للتفصيل ينظر: الكاظمي، عماد: القرآن الكريم وآثاره في تربية الإنسان والمجتمع –دراسة موجزة في سورة الإسراء– ص٤٠-٤٣

يبسطُ يدهُ كُلَّ البسطِ بحيثُ لا يستقرُّ عليها، ففي الكلامِ نهيٌ بالغٌ عن التفريطِ والإفراطِ في الإنفاقِ)). [١]

فالآية بصدد بيان ما يتعلق بحد الاعتدال، أي الوسط بين الإفراط والتفريط، وهو فضيلة بين رذيلتين كما ذكره العلماء في علم الأخلاق. [٢]

وفي الآية ٱستعارة تمثيلية لمنع الشحيح وإعطاء المسرف، فقد شبَّهَ حال البخيل في ٱمتناعه من الإنفاق على من يده مغلولة إلى عنقه فهو لا يقدر على التصرف في شيء، وشبَّهَ حال المسرف المبذر المتلاف بحال مَنْ يبسط يده كُلَّ البسط فلا يبقي على شيء في كَفِّه، ولا يدَّخرَ شيئًا ينفعه في حال الحاجز، ليخلص إلى نتيجة مجدية وهو التوسط بين الأمرين، والاقتصاد الذي هو وسط بين الإسراف والتقتير. [٣]

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾. [٤]

إنَّ الآية الشريفة تحذر من البخيل وأثره من صفات سلبية، فهو بخيل ويدعو الآخرين إلى التأسي به، وهذه من المراحل الخطيرة التي يصل فيها الإنسان من دعوته إلى مساوىء الأخلاق، فيجب التصدي لمثل هذه الدعوات

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ١٣/٨٢

(٢) ينظر: جامع السعادات ١/٩٩-١٠٨

وقد ذكر الشيخ النراقي (قدس سره) ما يتعلق بعدد كبير من الصفات من حيث الإفراط والتفريط وحد الاعتدال بينهما.

(٣) ينظر: الدرويش، محيي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه ٤/٣٥٠

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٤

الفاسدة، وهذا ما أكده المفسرون، قال الزمخشري: ((كأَنَّهُ قالَ: لا يحبَّ الذينَ يبخلونَ، يريدُ الذينَ يفرحونَ الفرحَ المُطغي إذا رُزِقوا مالاً وحظًّا من الدنيا، فلحبِّهِم له وعزتِهِ عندهُمْ وعظمهِ في عيونِهِمْ يَزْوُوْنَهُ عن حقوقِ الله ويبخلونَ بهِ، ولا يكفيهِمْ أَنَّهُمْ بَخِلُوا حَتَّى يَحْمِلُوا الناسَ على البخلِ، ويرغِّبُوْهُمْ في الإمساكِ، ويُزَيِّنُوْهُ لهم، وذلكَ كُلُّهُ نتيجةَ فرحِهِمْ بهِ، وبَطَرِهِمْ عندَ إصابتِهِ)). [١] إنَّ في كلامه إشارة واضحة إلى تلك الأمراض التي تصيب النفس الإنسانية، فتلوِّث فطرتها، وتحرفها عن الصواب، فالبخل أساسه الطمع، ومصدره الجهل والشك بعطاء الله تعالى.

وفي بيان المقابلة بين العطاء في الإنفاق، والمنع في البخل قال تعالى في بيان حقيقة الناس في ذلك، ومبيِّنًا آثارهما: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [٢]، فالآيات جلية في إشارتها إلى تقسيم الناس على صنفين في تعاملهم مع الأموال، وفيها ترغيب على الإنفاق، وتحذير من البخل والشح وما فيهما من آثار على العلاقات الخاصة والعامة، فضلاً عن آيات أخرى ذكرت ما يتعلق بصفة الإنفاق والعطاء وما في ذلك من إيحاء إلى السخاء والكرم، للقضاء على تلك الصفة المذمومة التي حذر الشرع والعقل منها. [٣]

---

(١) تفسير الكشاف ٤/٤٧٧-٤٧٨

(٢) سورة الليل: الآيات ٤-١١

(٣) ينظر: الشيرازي، ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٢٠/١٩٨-٢٠١

- ثانيًا: السنة الشريفة.

إنَّ السنة الشريفة قد أكدت على عظمة الكرم والسخاء وأثرهما في التربية، وبناء العلاقات الاجتماعية المختلفة، وأنهما من مكارم الأخلاق التي ينبغي التمسك بها، والدعوة إليها بالقول والعمل، ومن تلك الروايات:

- روي عن النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم): ((السَّخَاءُ شَجَرَةٌ فِيْ الْجَنَّةِ، فمَنْ كَانَ سَخِيًّا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا، فَلَمْ يَتْرُكْهُ الْغُصْنُ حَتَّى يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَالشُّحُّ شَجَرَةٌ فِيْ النَّارِ، فَمَنْ كَانَ شَحِيْحًا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَلَمْ يَتْرُكْهُ الْغُصْنُ حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارَ)). (١)

إنَّ الحديث الشريف يبيِّنُ ما يتعلق بحقيقة السخاء وما يقابله من صفة الشح، فهما صفتان متقابلتان في الفضيلة والرذيلة وأثرهما على تربية الإنسان، فالأولى توصل صاحبها إلى مكارم الأخلاق التي أمر الله تعالى بها، ويكون مآل صاحبها الجنة، من خلال أفعاله التي تعكس صفة السخاء وما يتعلق بها، والثانية توصله إلى النار؛ لأنها مذمومة عند الله تعالى، وفيها من الآثار التي لا تليق بالإنسان، فضلاً عن المؤمن، وفي ذلك ترغيب للسخاء، وترهيب من الشح.

- روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((كَثْرَةُ السَّخَاءِ تُكْثِرُ الْأَوْلِيَاءَ، وَتَسْتَصْلِحُ الْأَعْدَاءَ)). (٢)

---

(١) كنز العمال ٦/٣٩٢

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ص٥٢٥

إنَّ في الحديث دلالة واضحة في بيان آثار السخاء الاجتماعية، فهو سبب مهم في إيجاد العلاقات الاجتماعية، وتأكيد الروابط بين الناس عامة، والمؤمنين خاصة، فالسخاء بأنواعه هو سبيل إقامة العلاقات الجيدة، فالكرم والسخاء بالقول والفعل يستوجب أنْ يكون لصاحبه أولياء، وإنَّ في التودد إليهم بطيب القول والفعل مما وردت في روايات متعددة تحث على ذلك، وهو أيضًا له أثر في رفع العداء والاختلاف والضغينة بين الآخرين، وفي ذلك دعوة تربوية إصلاحية للفرد والمجتمع.

- روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((السَّخَاءُ مِنْ أَخْلاقِ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ عِمَادُ الإِيْمَانِ، وَلا يَكُوْنُ مُؤْمِنٌ إِلا سَخِيًّا، وَلا يَكُوْنُ سَخِيًّا إِلا ذُوْ يَقِيْنٍ، وَهِمَّةٍ عَالِيَةٍ؛ لِأَنَّ السَّخَاءَ شُعَاعُ نُوْرِ الْيَقِيْنِ، وَمَنْ عَرَفَ مَا قَصَدَ، هَانَ عَلَيْهِ مَا بَذَلَ)). (١)

إنَّ الحديث يبيِّن منزلة السخاء ومقامه، وأبعاده التربوية، فضلاً عن بيانه لآثاره المهمة، وقد بيَّن الحديث علاقة هذه الصفة الممدوحة بالعقيدة، وما يترتب على ذلك من عظمة التمسك بها، ورعايتها، وما للمعرفة من دور أساس في توجيهها نحو الصراط المستقيم، ويظهر ذلك جليًّا في قوله: ((وَمَنْ عَرَفَ مَا قَصَدَ، هَانَ عَلَيْهِ مَا بَذَلَ))، فالإنسان على أساس هذه المعرفة لأهمية السخاء وأثره يستمد قوة وشجاعة فيتغلب على نفسه الأمارة بالبخل، فيبذل المال من أجل أهداف سامية لها آثار فردية واجتماعية، من دون أنْ يصيبه أي أذى، أو سوء، أو ندامة.

(١) بحار الأنوار ٦٨/٣٥٥

- روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((السَّخِيُّ الْكَرِيْمُ الَّذِيْ يُنْفِقُ مَالَهُ فِيْ حَقِّ الله)). [١]

إنَّ الحديث فيه بيان لمفهوم السخاء والكرم في الجانب المادي المتعلق بالأموال، بأنَّ أعلى درجاتهما وكمالهما إنما يكون فيما يتعلق بالحقوق المالية للشريعة المقدسة، كأداء فريضة الخمس والزكاة وغيرهما، وفي هذا مجاهدة كبيرة للنفس الأمارة التي تأمر صاحبها البخل والشح، وجمع الأموال ومنع الحقوق، أو حبسها، فالسخيُّ الكريم عند الله تعالى مَنْ أدى الحقوق الواجبة عليه بطيب نفس، ومن ثَمَّ أنفق على الآخرين، وليس عكس ذلك في أنْ يكون سخيًّا على الناس، ولكنه مانع لحقوق الله عز وجل.

- روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام): ((السَّخِيُّ الْحَسَنُ الْخُلُقِ فِيْ كَنَفِ الله، لا يَسْتَخْلِي اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا وَلا وَصِيًّا إِلا سَخِيًّا، وَلا كَانَ أَحَدٌ مِنَ الصَّالِحِيْنَ إِلا سَخِيًّا، وَمَا زَالَ أَبِيْ يُوْصِيْنِيْ بِالسَّخَاءِ حَتَّى مَضَى)). [٢]

إنَّ الحديث الشريف قد أكَّد على ترابط مكارم الأخلاق بصفة السخاء، وأنها منزلة رفيعة توصلُ صاحبها إلى الدرجات الرفيعة، فضلاً عن أنها سيرة الأنبياء والأوصياء والصالحين، ومن يتَّصف بذلك يكون معهم ومنهم، بل إنها من الوصايا العظيمة التي كان يوصي الأوصياء بها، وفي ذلك تمام البيان في أهمية هذه الخصال في البناء الروحي، والتربية للإنسان،

---

(١) تحف العقول ص٢٧٣

(٢) الكافي ج ص باب (معرفة الجود والسخاء) الحديث ٤

إنَّ هذه الروايات الشريفة التي تقدمت تؤكد أهمية الكرم والسخاء، وأثرهما في العلاقات الخاصة والعامة، وأهمية تربية الإنسان على بناء الشخصية المتوازنة في جميع تصرفاتها، فالمال نعمة من نعم الله تعالى، ويجب أداء شكر هذه النعمة، وإحدى موارد ذلك الشكر بعد أداء الحقوق الشرعية المتعلقة به، هو الكرم والسخاء على الإخوان والمؤمنين، وخصوصًا عند حاجتهم إليه، من دون البخل عليهم بنعم الله تعالى، فالبخل طريق من طرق الشيطان في إبعاد الإنسان عن الله تعالى، فضلًا عن هدمه للعلاقات مع الآخرين، وبناء النفس على الأنانية والمصلحة الشخصية، وما في ذلك من مساوىء الأخلاق التي ذمَّها العقل والشرع؛ لذلك كان تحذير الإمام السجاد (عليه السلام) من مصاحبة البخيل الذي يخذل صاحبه في أوقات الشدة والعسرة، وقد حذرت الروايات من البخل وممن يتصفون به، فروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِئِ الْعُيُوْبِ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوْءٍ)) [١]، ومن روائع ما ورد عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قوله: ((إِنِّي لَأَسْتَحِيْ مِنْ رَبِّيْ أَنْ أَرَى الْأَخَ مِنْ إِخْوَانِيْ فَأَسْأَلُ اللهَ لَهُ الْجَنَّةَ، وَأَبْخَلُ عَلَيْهِ بِالدِّيْنَارِ وَالدِّرْهَمِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيْلَ لِيْ: لَوْ كَانَتِ الْجَنَّةُ لَكَ لَكُنْتَ بِهَا أَبْخَلَ، وَأَبْخَلَ، وَأَبْخَلَ)). [٢]

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة ٣/٢٤٥

(٢) ميزان الحكمة ١/٢٣٢ باب (البخل) الحديث ١٥٨٠

- المطلب الثاني: الكرم والسخاء في علم الأخلاق.

إنَّ علماء الأخلاق قد ذكروا ما يتعلق بصفتي الكرم والسخاء وما يقابلها من صفة البخل والأسباب المؤدية إلى ذلك، وطرق العلاج منه؛ لأهمية ذلك على سلوك الإنسان الذاتي والاجتماعي، فضلاً عمَّا يترتب عليه من آثار وصفات، ونحاول بيان ذلك إجمالاً.

قال الشيخ النراقي: ((ضِدُّ البخلِ السخاءُ، وهُوَ من ثمرةِ الزهدِ، كما أنَّ البخلَ من ثمرةِ حُبِّ الدنيا، فينبغي لكُلِّ سالكٍ لطريقِ الآخرةِ أنْ يكونَ حالُهُ القناعَةَ إنْ لم يكُنْ لَهُ مالٌ، والسخاءُ واصطناعُ المعروفِ إنْ كانَ لَهُ مالٌ، ولا ريبَ في كونِ الجودِ والسخاءِ من شرائِفِ الصفاتِ ومعالي الأخلاقِ، وهو أصلٌ من أصولِ النجاةِ، وأشهرُ أوصافِ النبيينَ، وأعرفُ أخلاقِ المرسلينَ، وما وردَ في مدحِهِ خارجٌ عن حَدِّ الإحصاءِ)). [1]

إنَّ في قوله (قدس سره) تأكيد على المنهج الأخلاقي والعرفاني لحقيقة الدنيا والآخرة وما يتعلق بهما من ابتلاء واختبار، فالإنسان إذا عرف أنَّ النِّعم الإلهية إنما هي محط اختبار له فهو يُحسن بذلك استعمالها بما يوصله إلى طاعة الله ورضاه، والمال هو إحدى تلك النِّعم التي هي سبيل المعروف والعمل الصالح؛ لذلك نرى وضوح صفة السخاء والجود والكرم في سيرة حجج الله تعالى، وهناك شواهد تأريخية كثيرة.

(١) جامع السعادات ١١٦/٢

وقال (قدس سره) في بيان ما يتعلق بالسخي وكرمه وعطائه: ((فالسخيُّ هو الذي يؤدِّي واجِبَ الشرعِ، وواجبَ المروَّةِ والعادةِ جميعًا، فإنْ منعَ واحدًا منها فهو بخيلٌ، وإنْ كانَ الذي يمنعُ واجبَ الشرعِ أبخلُ، ثُمَّ ما يجبُ بذلُهُ شرعًا مضبوطٌ معيَّنٌ، من الزكاةِ والخمسِ وغيرِهما من أطيبِ مالِهِ أو وسطِهِ، دونَ الخبيثِ منهُ، والإنفاقُ على أهلِهِ وعيالِهِ على قدرِ احتياجِهِم، فمَنْ أدَّى جميعَ ذلكَ فقد أدَّى الواجبَ الشرعيَّ، ويستحقُّ اسمَ السخيِّ شرعًا، إذا كانَ الأداءُ بطيبَةٍ من قلبِهِ، من دونِ أنْ يشقَّ عليهِ، إذْ لو شُقَّ عليهِ ذلكَ كانَ بخيلاً بالطبعِ، ومُتَسَخِّيًا بالتكلُّفِ)). [1]

إنَّ في كلامه تأكيد لما تقدم بيانه عند الحديث عن السخاء في السنة الشريفة بوجوب أداء الحقوق الشرعية التي فرضها الله تعالى على عبادته بنية خالصة إليه، ومما يجب التأكيد عليه أيضًا هو ما يتعلق بطيب المال والنفس في العطاء، وعدم التكلُّف ليكون السخاء عند صاحبه مَلَكَةً، وأنَّ الوصول إلى مرحلة الملكة يحتاج إلى كثير من المعرفة والمجاهدة والمراقبة للنفس، وإلا فهو لا يصل إلى تلك الدرجات الرفيعة التي وردت في القرآن والسنة وإنْ أعطى ماله إلى الآخرين، أو أدى الحقوق الواجبة، بل هو في الواقع -مع الأسف- بخيلاً، وهذا من لطيف قوله: ((إذْ لو شُقَّ عليهِ ذلكَ كانَ بخيلاً بالطبعِ، ومُتَسَخِّيًا بالتكلُّفِ)).

(١) المصدر نفسه ٢/١٢٠

ومما ورد عن الشيخ ناصر مكارم الشيرازي فيما يتعلق بالسخاء والكرم والجود وما يقابلهما من صفة البخل قوله: ((تقعُ هاتانِ المفردتانِ "الجودُ والسخاءُ" في مقابلِ البخلِ، وتستعملانِ غالبًا بمعنًى واحدٍ، ولكن أحيانًا يستفادُ من بعضِ كلماتِ العلماءِ أنَّ الجودَ لنفسِ المرحلةِ أعلى من السخاءِ .... وعلى أيةِ حالٍ فإنهما من الفضائلِ الأخلاقيةِ المهمة، وكلَّما كانَ البخل من علاماتِ الدناءَةِ والحقارةِ وضعفِ الإيمانِ وفقدانِ الشخصيةِ للإنسانِ البخيلِ، كانَ الجودُ والسخاءُ من علائمِ الإيمانِ وقوةِ الشخصيةِ، وسموِّ المكانة الاجتماعية للشخص)). [1]

إنَّ هذا البيان الموجز لهذه الصفة التي حثت عليها الشريعة المقدسة في كثير من نصوصها يؤكد أثرها في التربية الفردية والاجتماعية، وأثرها في تلك العلاقات العامة، ولمَّا كانت من أهم أهداف الشريعة في نظامه هو ما يتعلق ببناء الإنسان بناء تربويًّا متكاملاً فقد برز ذلك التأكيد على صفات متعددة، يجب على الإنسان المؤمن أنْ يتحلى بها؛ لتكون شخصيته شخصية محبوبة عند الآخرين، ويكون بذلك أسوة لهم، فضلاً عن معالجتها للصفات المذمومة والتحذير منها؛ لما فيها من آثار سيئة على الشخصية، وما يتعلق بها من مشاكل نفسية وآجتماعية متعددة، لا يرغب العقلاء فيها، وتؤيده الآيات الواردة في ذم الشح والبخل، والروايات المتعددة الواردة في التحذير منهما.

(١) الأخلاق في القرآن ٢/٣٦٥

وقال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في بيانه لطرق علاج صفة البخل الذميمة: ((ومن الطُّرُقِ الأخرى هي التفكُّرُ في كراهيةِ الناسِ وٱنزجارِهِم من الشخصِ البخيلِ، والأشخاصِ الذينَ لا يعيشونَ حالةَ الكرمِ والبذلِ، فإنَّ الناسَ يتعاملونَ معهم على مستوى أنهم أشخاصٌ غيرُ مرغوبٍ بهم، ولا يحترمونهُمْ كما يحترمونَ الأسخياءَ والكرماءَ من الناسِ)) [1]، وهذه من الظواهر الاجتماعية التي نراها جلية في المجتمع، وخصوصًا في الأشخاص الذين لهم منزلة ٱجتماعية، فسخاؤهم له أعظم الأثر في التربية والإصلاح في المجتمع، وأما البخل فيكون سبيلاً لنفور الناس وٱبتعادهم عنه، وعمَّا يمثله من جهات ينتمي إليها، وخصوصًا إذا كانت الجهة مقدسة وعظيمة عند الناس.

هذا ما حاولت بيانه إجمالاً فيما يتعلق بصفة الكرم والسخاء والجود وما يقابله من بخل وشح وما ورد من كلمات الأعلام في علم الأخلاق؛ لنكون على معرفة بذلك، لنصل بها إلى درجات رفيعة لها أثر على السلوك الفردي والاجتماعي، وفي ذلك كمال وصية الإمام السجاد (عليه السلام) في تحذيره من مصاحبة البخيل بقوله: ((وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْبَخِيْلِ، فَإِنَّهُ يَخْذُلُكَ فِيْ مَالِهِ أَحْوَجُ مَا تَكُوْنُ إِلَيْهِ)).

(١) الأخلاق في القرآن ٢/٣٦٤

المبحث الرابع

العقل وآثاره

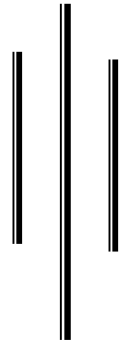

- المبحث الرابع: العقل وآثاره.

إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد أعتنت أعتناءً بالغًا فيما يتعلق بالعقل، من حيث حقيقته، ومقامه، وآثاره، ومنزلته وغير ذلك، وفيه إشارة واضحة لأهمية العقل، الذي كرَّم الله تعالى الإنسان به، ولو أننا رجعنا إلى النصوص الإسلامية الواردة فيه لاحتاج إلى مجلد كبير للإحاطة به، فضلًا عن كلمات أعلام المسلمين وبحوثهم حوله، ونحاول بإيجاز أنْ نسلط الضوء عليه من خلال مصدري التشريع الإسلامي؛ لبيان أهمية ذلك عند المسلمين، وحثهم على التفكر والتأمل في عظمة الشريعة المقدسة التي تدعو إلى تكريم العقل وتعظيمه.

- المطلب الأول: العقل في الشريعة المقدسة.

إنَّ أهمية العقل في التشريع الإسلامي وما يتعلق به لا تخفى على أي الباحث، فهو مدار التكليف في الأحكام الشرعية، وهو الأساس في تمييز بعض المسائل الاعتقادية، في إثبات الخالق ووحدانيته، وما يتعلق بأصول العقيدة الأخرى، وقد فصل العلماء ذلك في مؤلفاتهم العقائدية في بيان دور العقل وأستدلالاته، وإنَّ كثرة النصوص الشرعية الواردة فيه وفي آثاره تدل على ذلك، ونحاول بيان تلك النصوص من خلال القرآن والسنة بما يأتي:

- أولاً: القرآن الكريم.

إنَّ القرآن الكريم في كثير من آياته المباركة قد ذكر العقل وخاطب العقلاء بـ"أولي الألباب" في موارد متعددة، إشارة منه إلى مكانتهم وأهميتهم في الخطاب الإلهي، ومن ذلك يمكن أنْ نذكر ما يأتي من الآيات الشريفة:

- في بيان التفكر في آيات الخالق وعظمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾. (١)

- وفي بيان آثار التفكر، قال تعالى بعد الآية السابقة في صفات أولي الألباب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾. (٢)

- وفي بيان ما يترتب على توجه العقلاء المؤمنين بالدعاء إلى الله وآستجابته لهم، قال تعالى بعد الآيات السابقة: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾. (٣)

- وفي بيان أثره وتأثير التقوى فيه، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٠

(٢) سورة آل عمران: الآيات ١٩١-١٩٤

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩٥

(٤) سورة المائدة: الآية ١٠٠

أُولِي الْأَلْبَابِ﴾. (١)

- وفي بيان أنَّهم أهل للذكرى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣)

- وفي بيان أنَّهم أهل للبشارة والهداية والصلاح، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. (٤)

وغير ذلك من الآيات المباركة التي تبين مقامهم ومنزلتهم عند الله تعالى، وما في ذلك من آثار تربوية كبيرة على الإنسان، وعلاقاته الاجتماعية المتعددة، وللمفسرين كلام مهم في ذلك يمكن الرجوع إليه، وفي حقيقة آستعمال الله تعالى "أولوا الألباب" في الخطاب، وما يتعلق به يقول الراغب الأصفهاني: ((اللُّبُّ الْعَقْلُ الْخَالِصُ مِنَ الشَّوَائِبِ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِكَوْنِهِ خَالِصَ مَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ مَعَانِيْهِ كَاللُّبَابِ وَاللُّبِّ مِنَ الشَّيْءِ، وَقِيْلَ: هُوَ مَا زَكَى مِنَ الْعَقْلِ، فَكُلُّ لُبٍّ عَقْلٌ، وَلَيْسَ كُلُّ عَقْلٍ لُبًّا، وَلِهَذَا عَلَّقَ اللهُ تَعَالَى الْأَحْكَامَ الَّتِيْ لا يُدْرِكُهَا إِلا الْعُقُوْلُ الزَّكِيَّةُ بِأُوْلِيْ الْأَلْبَابِ، نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٧

(٢) سورة الرعد: الآية ١٩ وقد ذَكَرَتِ الآياتُ التي بعدَها بعضًا من صفاتِهِمْ.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٥٢

(٤) سورة الزمر: الآيتان ١٧-١٨

الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوْ الْأَلْبَابِ﴾ [١] وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ)). [٢]

- ثانيًا: السنة الشريفة.

إنَّ في السنة الشريفة نصوصًا كثيرة في العقل مقام العقل وما يتعلق به[٣]، فلا تخلو سيرتهم (عليهم السلام) من التذكير بذلك والحث عليه، فمن تلك الأحاديث نذكر ما يأتي:

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((مَا قَسَّمَ اللهُ لِلْعِبَادِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ، فَنَوْمُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مَنْ سَهَرِ الْجَاهِلِ، وَإِقَامَةُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ شُخُوْصِ الْجَاهِلِ، وَلا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا وَلا رَسُوْلًا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ الْعَقْلَ، وَيَكُوْنَ عَقْلُهُ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيْعِ عُقُوْلِ أُمَّتِهِ، وَمَا يَضْمِرُ النَّبِيُّ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ" فِيْ نَفْسِهِ أَفْضَلُ مِنَ اجْتِهَادِ الْمُجْتَهِدِيْنَ، وَمَا أَدَّى الْعَبْدُ فَرَائِضَ اللهِ حَتَّى عَقِلَ عَنْهُ، وَلا بَلَغَ جَمِيْعُ الْعَابِدِيْنَ فِيْ فَضْلِ عِبَادَتِهِمْ مَا بَلَغَ الْعَاقِلُ، وَالْعُقَلَاءُ هُمْ أُوْلُوْا الْأَلْبَابِ، الَّذِيْنَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا أُوْلُوْ الْأَلْبَابِ﴾)). [٤]

إنَّ الرواية الشريفة تبيِّن مقام العقل وآثاره، ومنزلة العقلاء وآثارهم، فضلاً عن تأكيدها بأنَّه من أعظم نِعَمِ الله تعالى التي خَصَّ بها عباده، وما

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٩

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٤٦٥ (لب).

(٣) ينظر: ميزان الحكمة ٥/٢٠٣٢-٢٠٥٧ باب (العقل).

(٤) الكافي ١/١٣ كتاب (العقل والجهل) الحديث ١١

يستوجب عليه من أداء حق هذه النعمة، من خلال أعماله التي تدلُّ عليه، والعاقل له أجر عظيم، وثواب جزيل.

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((وَصِفَةُ الْعَاقِلِ أَنْ يَحْلَمَ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْهِ، وَيَتَجَاوَزَ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ دُوْنَهُ، وَيُسَابِقَ مَنْ فَوْقَهُ فِيْ طَلَبِ الْبِرِّ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ تَدَبَّرَ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا سَكَتَ فَسَلِمَ، وَإِذَا عُرِضَتْ لَهُ فِتْنَةٌ ٱسْتَعْصَمَ بِالله، وَأَمْسَكَ يَدَهُ وَلِسَانَهُ، وَإِذَا رَأَى فَضِيْلَةً ٱنْتَهَزَ بِهَا، لا يُفَارِقُهُ الْحَيَاءُ، وَلا يَبْدُوْ مِنْهُ الْحِرْصُ، فَتِلْكَ عَشْرُ خِصَالٍ يُعْرَفُ بِهَا الْعَاقِلُ)). (١)

إنَّ في الرواية الشريفة ٱلتفاتة لطيفة في بيان صفات العاقل، ومن خلالها يمكن تمييز العاقل عن غيره، بل بيان أفضلية العقلاء بعضهم على بعض، وقد ذكرت الرواية عشرة من مكارم الصفات، وكُلُّ صفة لها أثر عظيم في تربية النفس الإنسانية، وما يترتب على السلوك الفردي والاجتماعي من تكاملٍ تربوي.

- روي عن الإمام الحسين (عليه السلام): ((لا يَكْمُلُ الْعَقْلُ إِلا بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ)). (٢)

إنَّ الحديث يبيِّنُ العلاقة الوثيقة بين العقل والحق، وفي ذلك إشارة بليغة إلى أهمية العقل في معرفة الحق، وتأثير الحق على العقل والوصول إلى

(١) تحف العقول ص٢٧

(٢) ميزان الحكمة ٥/٢٠٥٠ باب (العقل).

كماله، فاتِّباع الحق سبيل الوصول إلى الكمال، ولا يمكن للإنسان أنْ يعرف الحق إلا بالعقل، ومَنْ لم يكن هذا سبيله فهو للباطل قرين.

- روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((لا غِنًى أَخْصَبُ مِنَ الْعَقْلِ، وَلا فَقْرَ أَحَطُّ مِنَ الْحُمْقِ)). (١)

إنَّ الرواية واضحة الدلالة في بيان أثر الغنى المعنوي الذي يصل فيه الإنسان إلى سعادته الحقيقية في الدارين، وفي ذلك عبرة عظيمة في معرفة حقائق الأمور، فليس الغنى بكثرة الأموال، وإنما بالعقل ونمائه، وليس الفقر بانعدام الأموال، وإنما بغياب العقل وفقدان آثاره.

- روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في وصيته لتلميذه هشام بن الحكم: ((يَا هِشَامُ إِنَّ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ "عليه السلام" كَانَ يَقُوْلُ: إِنَّ مِنْ عَلامَةِ الْعَاقِلِ أَنْ يَكُوْنَ فِيْهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: يُجِيْبُ إِذَا سُئِلَ، وَيَنْطِقُ إِذَا عَجَزَ الْقَوْمُ عَنِ الْكَلَامِ، وَيُشِيْرُ بِالرَّأْيِ الَّذِيْ يَكُوْنُ فِيْهِ صَلَاحُ أَهْلِهِ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيْهِ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ شَيْءٌ فَهُوَ أَحْمَقٌ، إِنَّ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ "عليه السلام" قَالَ: لَا يَجْلِسُ فِيْ صَدْرِ الْمَجْلِسِ إِلا رَجُلٌ فِيْهِ هَذِهِ الْخِصَالُ الثَّلَاثُ، أَوْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيْهِ شَيْءٌ مِنْهُنَّ فَجَلَسَ فَهُوَ أَحْمَقٌ)). (٢)

إنَّ الإمام (عليه السلام) في وصيته قد حدد صفات العاقل التي يجب أنْ يكون عليها، فذكر ثلاثًا منها لها علاقة وثيقة باللسان، وما يترتب عليه من آثار،

---

(١) الكافي ١/٢٩ كتاب (العقل والجهل) الحديث ٣٤

(٢) المصدر نفسه ١/١٩ كتاب (العقل والجهل) الحديث ١٢

وقد أشار في الرواية إلى مقابلة الأحمق للعاقل إنْ لم تتوافر فيه هذا الخصال، فيجب علينا أنْ نكون على درجة من المعرفة، فبها يصل الإنسان إلى منزلة أولي الألباب، ومن دونها يكون على منزلة لا تليق به.

ومن أعظم ميراث الأئمة (عليهم السلام) في العقل هي وصية الإمام الكاظم (عليه السلام) لتلميذه هشام ٱبن الحكم في العقل، وهي من عيون التراث الإسلامي في ذلك. (١)

إنَّ هذه الأحاديث الشريفة تؤكِّد أولًا على مقابلة العاقل في الجانب الإيجابي للأحمق الذي هو في الجانب السلبي بصورة عامة، وأهمية وعظمة العقل في الشريعة الإسلامية المقدسة، وتحذير الإمام السجاد (عليه السلام) من مصاحبة الأحمق؛ لأنه لا يملك تلك المقومات المتقدمة التي لها أثر بالغ في بناء الشخصية، وما يترتب عليه من العلاقات الخاصة والعامة في المجتمع، فتكون صحبته مضرة ووبالًا عليه، وفي هذا كمال التربية الإسلامية في ٱختيار الصاحب والصديق.

(١) ينظر: تحف العقول ص٢٨١-٢٩٥

وقد كرر فيها الإمام قوله (يا هشام) واحدًا وثمانين مرة، وشرحت بعض ما يتعلق بهذه الوصية المباركة بعنوان (حديث العقول) ونشرت بعضها في مجلة (منبر الجوادين) في العتبة الكاظمية المقدسة، ومجلة (الروضة الحسينية) في العتبة الحسينية المقدسة لسنة ٢٠١٦م، والعمل قائم لإتمام شرحها كاملة إن شاء الله تعالى.

- المطلب الثاني: العقل في علم الأخلاق.

إنَّ العقل له دور كبير في تمييزه فضائل الأخلاق ورذائلها، وأنَّ به يوصل إلى معرفة الله تعالى، بأنَّه المنعم الحقيقي على عباده بأنواع النعم الظاهرة والباطنة، وأنَّ الإنسان يتألف من روح وجسد، وأنَّ اللذة الحقيقية هي في كمال النفس بالعلم والمعرفة، والمعرفة تختص بالعاقل من دون غيره، ولا يمكن للأحمق أنْ يعرف هذه الحقائق، قال الشيخ النراقي (قدس سره) في بيان حقيقة اللذة وكمالها، وما يجب علينا أنْ نعرفه عنها، والتي هي خاصة بمَنْ له عقل يتأمل ويتفكر فيه: ((إذا عرفتَ تجرُّدَ النفسِ وبقائِها أبدًا، فاعلمْ أنَّها مُلْتَذَّةٌ مُتَنَعِّمَةٌ دائمًا، أو مُعَذَّبَةٌ مُتَأَلِّمَةٌ كذلك، والتذاذُهَا يتوقَّفُ على كمالِها الذي يَخُصُّها، ولَمَّا كانَتْ لها قُوَّتَانِ النظريةِ والعمليةِ، فكمالُ القوةِ النظريةِ الإحاطةُ بحقائِقِ الموجوداتِ بمراتِبِها، والاطِّلاعُ على الجزئياتِ غير المتناهيةِ بإدراكِ كُلِّيَّاتِها، والترقِّي منه إلى معرفةِ المطلوبِ الحقيقيِّ، وغايَةُ الكُلِّ حتى يصلَ إلى مقامِ التوحيدِ، ويتخلَّصَ عن وساوسِ الشيطانِ، ويطمئنَّ قلبُهُ بنورِ العرفانِ، وهذا الكمالُ هو الحكمةُ النظريةُ، وكمالُ القوةِ العمليةِ التخلي عن الصفاتِ الرديَّةِ، والتحلِّي بالأخلاقِ المرضيَّةِ، ثم الترقِّي منهُ إلى تطهيرِ السِّرِّ وتخليتِهِ عَمَّا سوى اللهِ سبحانَهُ، وهذا هو الحكمَةُ العمليةُ التي يشتملُ هذا الكتابُ على بيانِها، وكمالُ القوةِ النظريةِ بمنزلةِ الصورةِ، وكمالُ القوةِ العمليةِ بمنزلةِ المادةِ، فلا يتمُّ أحدُهُما بدونِ الآخرِ، ومَنْ حصلَ لَهُ الكمالانِ صارَ بانفرادِهِ عالَمًا صغيرًا

مشابِهًا للعالَمِ الكبيرِ، وهو الإنسانُ التامُّ الكامِلُ الذي تلألأ قلبُهُ بأنوارِ الشهودِ وبهِ تتمُّ دائرةُ الوجودِ)). [١]

إنَّ هذه المنازل التي ذكرها الشيخ في بيان حقيقة اللذة تشير بوضوح إلى أهمية ومقام العقل في إدراكها، وإنْ لم يذكر العقل صراحة، ولكن وضوح ذلك لا يحتاج إلى ذكر، فلا يمكن لغير العاقل أنْ يصل إلى هذين الكمالَيْنِ المتقدِّمَيْنِ، ولا يمكن لغيره أنْ يعرف حقيقة التوحيد والترقي في معرفة المطلوب الحقيقي، وإدارك الجزئيات والكليات، والسيطرة على الشهوات وتنظيمها نحو الكمال، فالعاقل هو المخاطب، وهو صاحب الدور الكبير في الوصول إلى مكارم الأخلاق وتهذيب النفس، وتربيتها تربية صالحة على المستويين الفردي والجماعي؛ ولذلك فقد ذكر الشيخ (قدس سره) في مقام آخر عند بيانه معنى العدالة بين اللذات ما يؤكد ذلك فقال: ((إنَّ حقيقةَ العدالةِ هو التفسيرُ الأولُ المذكورُ في الطريقِ الأولِ، أعني ٱنقيادَ العقلِ العمليِّ للقوةِ العاقلةِ، وسائِرُ التفاسيرِ المذكورةِ في الطريقينِ لازمَةٌ لَهُ، إذِ الانقيادُ المذكورُ يلزمُهُ ٱتفاق القوى، وقوة الاستعلاء والسياسة للعقل العملي على قوتي الغضبِ والشهوةِ، أو نفسُ سياستهِ إياهُما وضبطهُما تحتَ إشارةِ العقلِ النظريِّ)). [٢]

(١) جامع السعادات ١/٤٠-٤١

(٢) المصدر نفسه ١/٨٧

وفي ذلك قال السيد الخميني (قدس سره): ((فالعقلُ هو القوةُ العاقلــةُ، أي القوةُ الروحانيةُ التي هي بدافِعِ الذاتِ مُجَرَّدَةٌ، وبدافِعِ الفطرةِ مائلةٌ إلى الخيراتِ والكمالاتِ، وداعيةٌ إلى العدلِ والإحسانِ، وفي مقابِلِها القوةُ الواهِمَةُ التي تميلُ إلى الدنيا ما لم تخضَعْ للنظامِ العقليِّ، ولم تَكُنْ مُسَخَّرَةً في ظِلِّ كبرياءِ النفسِ المُجَرَّدَةِ، وهذهِ القوةُ الواهِمَةُ هي شجرةٌ خبيثةٌ، وأصلُ الشرورِ)). [1]

إنَّ في كلامه تأكيد لما ورد من قبل في الروايات المباركة التي أكَّدت مقام العاقل، ومنزلة العقلاء في المعرفة، وأنَّ القوة العقلية من أعظم العطايــا الإلهية للإنسان، ويستطيع عن طريقها أنْ يتعرَّف على الحقائق، بل هي الفطرة الإلهية التي يشترك فيها جميع البشر، ما لم يتم تلويثها بالــشكوك والجحــود للحقائق الإلهية، فالعقل هو طريق الكمال الإنساني نحو الخيرات، وهذا مــا يجب علينا معرفته في مسيرتنا الجهادية للنفس الإنسانية.

إنَّ ما تم ذكره يؤكِّد حقيقة تحذير الإمام السجاد (عليه الــسلام) مــن مصاحبة الأحمق، وأهمية مصاحبة العاقل كما ورد في قوله: ((وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةُ الْأَحْمَقَ، فَإِنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ)).

(١) جنود العقل والجهل ص١٧

المبحث الخامس

صلة الرحم وآثارها

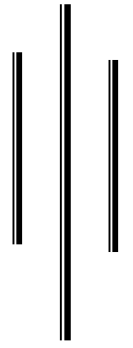

- المبحث الخامس: صلة الرحم وآثارها.

إنَّ صلة الرحم من الموضوعات المهمة التي تم التأكيد عليها في الشريعة المقدسة؛ لما فيها من أثر كبير في الحفاظ على العلاقات الاجتماعية، والتعاون، والمحبة، ونشر مبادىء الخير والسلام، وقد حذرت الشريعة المقدسة من قطع صلة الرحم، وعدت ذلك من الكبائر التي يفقد المؤمن بها عدالته، وما في ذلك من آثار سلبية على الشخصية [١]، بل إنها: ((من السنن الإلهية المودعة في فطرة الإنسان، هي الارتباط الروحي والعاطفي بأرحامه وأقاربه، وهي سنة ثابتة يكاد يتساوى فيها أبناء البشر، فالحب المودع في القلب هو العلقة الروحية المهيمنة على علاقات الإنسان بأقاربه، ولقد راعى الإسلام هذه الرابطة، ودعا إلى تعميقها في الواقع، وتحويلها إلى معلم منظور، وظاهرة واقعية تترجم فيه الرابطة الروحية إلى حركة سلوكية، وعمل ميداني)). [٢]

ونحاول بيان أهم ما ورد فيها من تعليمات الشريعة المقدسة، وعلماء الأخلاق في هذه الصفحات الموجزة.

---

(١) ينظر: السيستاني، علي: منهاج الصالحين ١/١٦

(٢) العذاري، سعيد كاظم: آداب الأسرة في الإسلام ص١٠٢

- المطلب الأول: صلة الرحم في الشريعة المقدسة.

إنَّ الشريعة المقدسة قد اُعتنت كثيرًا بالعلاقات الاجتماعية من حيث بيانها، وتأكيد التواصل من أجل الحفاظ عليها، والآيات والروايات في ذلك كثيرة جدًّا، وتعد صلة الرحم من أهم تلك العلاقات التي كان لها حضور واضح في نصوص الشريعة المقدسة، فنذكر ما ورد في ذلك من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة ما يتعلق بهما.

- أولاً: القرآن الكريم.

إنَّ القرآن الكريم في عدد من الآيات المباركة قد أكَّد على أهمية صلة الرحم وعظمتها، وبيَّنَ آثار هذه الطاعة المباركة، وكذلك بيَّن ما يتعلق بقطيعة الرحم وآثارها، ومن تلك الآيات المباركة:

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾. (١)

إنَّ الآية الشريفة في بيان صفات أولي الألباب وقد ذكرت عددًا من صفاتهم الإيجابية التي يحافظون عليه، ويتقربون بها إلى الله تعالى، ومنها تمسكهم بما أمرهم الله تعالى فيه من صلة الرحم وغيرهم، فقد ذكر المفسرون أنَّ الآية تتعلق بصلة الأرحام وغيرهم وما في ذلك من ثواب وأثر عظيم، قال السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م): ((وأخرجَ اٰبن أبي حاتم وأبو الشيخ، عن قتادة في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ قال: ذكرَ لنا أنَّ نبيَّ اللهِ

(١) سورة الرعد: الآية ٢١

"صلى الله عليه [وآله] وسلم" كان يقول: "اتقوا اللهَ وصلوا الأرحامَ، فإنَّهُ أبقى لكُمْ في الدنيا، وخيرٌ لكُمْ في الآخرةِ"، وذكر لنا أنَّ رجلًا من خثعم أتى النبيَّ "صلى الله عليه [وآله] وسلم" وهو بمكة فقال: أنتَ الذي تزعمُ أنَّكَ رسولُ اللهِ؟ قال: نعم. قال: فأيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ؟ قال: الإيمانَ باللهِ. قال: ثم ماذا؟ قال: صلةَ الرحمِ")). [١]

إنَّ هذه الروايات التي استدلَّ بها السيوطي في تفسير الآية المباركة ظاهرة في بيان عظمة صلة الرحم، وأنها من الطاعات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، وما فيها من أثر تربوي على النفس، وأهميتها في العلاقات الاجتماعية.

وقال السيد الطباطبائي: ((فالآيةُ مطلقةٌ، فالمرادُ به كُلُّ صلةِ أمرِ اللهِ سبحانَهُ بها، ومن أشهرِ مصاديقِهِ صلةُ الرحمِ، التي أمرَ اللهُ بها، وأكَّدَ القولَ في وجوبِها، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [٢])). [٣]

- قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. [٤]

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤/٥٧

(٢) سورة النساء: الآية ١

(٣) الميزان في تفسير القرآن ١١/٣٤٥

(٤) سورة النساء: الآية ١

إنَّ الآية الشريفة تؤكد الأمر الإلهي برعاية الأرحام ومعاهدتهم، ولا يكون الأمر والنهي إلا لما فيه من خير وصلاح للأمة، قال الشيخ الطبرسي: ((إنَّ معنى ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ تطلبونَ حقوقَكُمْ وحوائجَكُمْ فيما بينكُمْ بهِ، ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ معناه واتقوا الأرحامَ أنْ تقطعُوها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك والربيع، وهو المروي عن أبي جعفر [الباقر] (عليه السلام)، فعلى هذا يكونُ منصوبًا عطفًا على اسمِ اللهِ تعالى، وهذا يدلُّ على وجوبِ صلةِ الرحمِ، وصلةُ الرحمِ قد تكونُ بقبولِ النسبِ، و قد تكونُ بالإنفاقِ على ذي الرحمِ و ما يجري مجراهُ، وروى الأصبغُ بنُ نباتةَ عن أميرِ المؤمنينَ (عليه السلام) قال: إنَّ أحدكُمْ ليغضبُ فما يرضى حتى يدخلَ به النارَ، فأيُّما رجلٍ منكُمْ غضبَ على ذي رحمةٍ فليمسَّهُ، فإنَّ الرحمَ إذا مَسَّتها الرحمُ استقرَّتْ، وإنَّها متعلقةٌ بالعرشِ تقولُ وتنادي: اللهُمَّ صِلْ مَنْ وصلَني، واقطعْ مَنْ قطعَني)). [1]

إنَّ هذا الحديث لا يحتاج إلى بيان في أثر وعظمة صلة الأرحام، ومعاهدتها، وقضاء حوائجها، والحفاظ على هذه الرابطة التي أوجدها بين الناس، وما في ذلك من مواطن البر والمحبة والتعاون، وتوثيق الروابط الاجتماعية التي أكَّد عليها الإسلام.

وقال الفخر الرازي: ((دَلَّ قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ على تعظيمِ حَقِّ الرحمِ، وتأكيدِ النهيِ عن قطعِها، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ٣/٨-٩

فِي الأَرْضَ وَتُقَطّعُواْ أَرْحَامَكُمْ﴾ [١] .... وعن عبد الرحمن بن عوف: إنَّ النبي "صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: "يقولُ اللهُ تعالى أَنا الرحمنُ وهي الــرحمُ، ٱشتققتُ ٱسمَهَا من ٱسمي، فَمَنْ وَصَلَها وَصَلْتُهُ، ومَنْ قَطَعَها قَطَعْتُهُ")).[٢]

فالرحم لها مقام عظيم في العلاقات العامة والخاصة وقد أوجــب الله صلتها والحفاظ عليه، وعدم التهاون في ترك هذه العلاقات بين المؤمنين.

- ثانيًا: السنة الشريفة.

إنَّ الروايات الشريفة الواردة في صلة الرحم كثيرة، وفيها مــن الآثــار الكبيرة في الدنيا والآخرة، وتحتاج إلى بيان وتذكير دائمًا للحفاظ على ذلك، فضلاً عمَّا ورد من روايات في التحذير من قطيعة الرحم، وما في ذلك من آثار سلبية على المستوى الفردي والاجتماعي، ونذكر من تلك الروايات:

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((صِلَةُ الرَّحِمِ تُعَمِّرُ الدِّيَارَ، وَتُزِيْدُ فِيْ الْأَعْمَارِ، وَإِنْ كَانَ أَهْلُهَا غَيْرُ أَخْيَارٍ)). [٣]

إنَّ الحديث الشريف يبيِّن الآثار المادية في الدنيا لفضيلة صلة الأرحام، فيذكر ٱثنين منها، ويؤكِّد أنَّ هذه الآثار تشمل كُلَّ إنسانٍ يؤدِّي هذه الفــضيلة، وأما ما يتعلق بالآثار المعنوية وما يتعلق بالآخرة فهناك أحاديث متعددة أخرى قد ذكرت ذلك، فهو إجمالاً يؤكِّد على مقام صلة الرحم وفضيلتها.

---

(١) سورة محمد: الآية ٢٢

(٢) التفسير الكبير ٤٨١/٩

(٣) ميزان الحكمة ١٠٥٥/٣ باب (الرحِم) الحديث ٧٠٥٢

- روي عن النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم): ((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تَعَالى لَصَاحِبِهِ الْعُقُوْبَةَ فِيْ الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدْخَرُ لَهُ فِيْ الْآخِرَةِ، مِنْ قَطِيْعَةِ الرَّحِمِ، وَالْخِيَانَةِ، وَالْكَذِبِ، وَإِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا لَصِلَةُ الرَّحِمِ، حَتَّى أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكُوْنُوْنَ فَجَرَةً فَتَنْمُوْ أَمْوَالُهُمْ، وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوْا)). [١]

إنَّ الحديث الشريف فيه تحذير شديد من قطيعة الرحم وما يترتب عليها من آثار في الدنيا والآخرة، فضلاً عن آثارها التربوية على الإنسان، وهي من الذنوب التي يؤدي إلى غضب الله تعالى على صاحبها، وأما صلة الأرحام ففيها من الآثار التربوية الفردية والاجتماعية الكثيرة، التي تؤدي إلى المحبة والتراحم والتواصل، ومن بركات هذه الطاعة أنها تخص الناس كلهم بصورة عامة، والمؤمنين خاصة.

- روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أُوْصِيْ الشَّاهِدَ مِنْ أُمَّتِيْ، وَالْغَائِبَ مِنْهُمْ، وَمَنْ فِيْ أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَنْ يَصِلَ الرَّحِمَ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْهُ عَلَى مَسِيْرَةِ سَنَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الدِّيْنِ)). [٢]

إنَّ في الحديث دلالات واضحة على أهمية وعظمة صلة الرحم؛ لما في كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من تأكيد شديد على ذلك، في وصيته للحاضرين والغائبين وغير المولودين للآن، وهذا الاهتمام فيه دلالة على أهمية التمسك به، فضلاً عن أنَّ صلة الرحم من فقرات النظام الإسلامي التي يجب

(١) كنز العمال ٣٦٨/٣

(٢) الكافي ١٥١/٢ باب (باب صلة الرحم) الحديث ٥

علينا المحافظة عليها قولاً وعملاً وتعاهدًا، وإنْ كان في ذلك مشقة، فلا ينبغي التهاون في صلتهم، مع هذا التأكيد والبيان الواضح، الدال على أهميتها، وأنَّها من الدين، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ هذه الروابط إنما هي تقوية وتشييد لدعائم الدين، وإنَّ قطيعتها هي إعانة على معاداة تعاليم الدين، فعلينا أنْ نتأمل في ذلك جيدًا.

- روي عن الإمام علي (عليه السلام): ((صِلُوْا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ، يَقُوْلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾)). [١]

إنَّ الحديث الشريف يؤكِّد على أبسط صور صلة الرحم وهو السلام والتحية، وفي ذلك إشارة واضحة إلى الحذر من قطيعتها، فضلاً عن بيانه علاقة ذلك بما تقدم من الآية المباركة التي حثت على التمسك بهذه الطاعة الشريفة، وفي كُلِّ ذلك بيان لأثر الشريعة المقدسة في تهذيب وتربية النفس.

- روي عن الإمام الباقر (عليه السلام): ((صِلَةُ الْأَرْحَامِ تُزَكِّيْ الْأَعْمَالَ، وَتُنَمِّيْ الْأَمْوَالَ، وَتَدْفَعُ الْبَلْوَى، وَتُيَسِّرُ الْحِسَابَ، وَتُنْسِىءُ فِيْ الْأَجَلِ)). [٢]

إنَّ في الحديث بيان لآثار خمسة مهمة لصلة الأرحام، وقد تعلق بعضها بآثار مادية، وأخرى معنوية، وفي جميعها كمال التربية الفردية والاجتماعية التي

(١) ميزان الحكمة ٢/١٠٥٨ باب (الرحِم) الحديث ٧٠٧٩

(٢) الكافي ٢/١٥٦ باب (صلة الرحم) الحديث ٣٣

تدعو إليها الشريعة المقدسة، وما يجب على المؤمنين من التمسك به للوصول إلى مكارم الأخلاق، وتجعل الإنسان محط رحمة الله وعنايته.

إنَّ هذه الأحاديث الشريفة وغيرها تؤكِّد عظمة تحذير الإمام السجاد (عليه السلام) من مصاحبة القاطع لرحمه، وما في ذلك من آثار على صاحبها، فضلًا عن المساوىء الشخصية والمعنوية التي تترتب على ذلك.

- المطلب الثاني: صلة الرحم في علم الأخلاق.

لقد أكد علماء الأخلاق في مؤلفاتهم المفصلة على أهمية صلة الرحم وآثارها في تهذيب النفس وتربيتها، وما يتعلق أيضًا بقطيعة الرحم مع بيان الأسباب التي تؤدي إلى ذلك، وسبل علاج هذه الأمراض الفتاكة في المجتمع، قال الشيخ النراقي (قدس سره) في بيان ما يتعلق بقطيعة الرحم: ((وهو إيذاءُ ذوي اللُّحْمَةِ والقرابةِ، أو عدمُ مواساتِهِمْ بما نالَهُ من الرفاهيةِ، والثروةِ، والخيراتِ الدنيويةِ، مع اٰحتياجِهِمْ إليه، وباعِثُهُ إمَّا العداوةُ، أو البخلُ والخِسَّةُ، فهو من رذائِلِ القوةِ الغضبيةِ أو الشهويةِ، ولا ريبَ في كونِهِ من أعظمِ المهلكاتِ المفسدةِ للدنيا والدينِ .... وضِدُّ قطيعةِ الرحمِ صلةُ الرحمِ، وهو تشريكُ ذوي اللُّحْمَةِ والقراباتِ بما نالَهُ من المالِ، والجاهِ، وسائِرِ خيراتِ الدنيا، وهُوَ أعظمُ القرباتِ، وأفضلُ الطاعاتِ)).[1]

(١) جامع السعادات ٢/٢٦٤-٢٦٧

إنَّ هذه الكلمات تبيِّنُ أهمية صلة الرحم وعظمتها في التقرب إلى الله تعالى، وما يترتب عليها من آثار مباركة في الدنيا والآخرة، وكذلك ما يتعلق بالآثار السيئة لقطيعة الرحم، ولمَّا كان الإنسان العاقل بصورة عامة، والمؤمن بصورة خاصة يبتغي الكمال في التربية، فلا بد له من تحصيل طرق الكمال، والتي منها حسن العلاقات مع الآخرين، فهي من فضائل الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها؛ ليصل إلى كماله الفردي والاجتماعي؛ لذلك رأينا أهمية عناية الشريعة المقدسة بذلك من خلال الآيات والروايات التي تقدمت في صلة الرحم وغيرها من الموضوعات التربوية.

وفي بيان مصاديق تحقُّقِ الصلة والقطيعة للرحم يقول الشيخ النراقي: ((والمرادُ بقطعِهِ أنْ يُؤذيَهُ بالقولِ أو الفعلِ، أو كأنْ لَهُ شِدَّةَ لِحتياجٍ إلى ما يقدرُ عليهِ زيادةً على قدرِ حاجتِهِ، من سُكنى وملبوسٍ ومأكولِ فيمنَعُهُ، أو أمكنَهُ أنْ يدفعَ عنه ظلمُ ظالِمٍ ولم يفعَلْهُ، أو هاجَرَهُ غيظًا وحقدًا من دونِ أنْ يعودَهُ إذا مرضَ، أو يزورَهُ إذا قَدِمَ من سفرٍ وأمثالَ ذلكَ، فإنَّ جميعَ ذلكَ وأمثالَها قطعٌ للرحِمِ، وأضدادُهَا من دفعِ الأذيَّةِ ومواساتِهِ بمالِهِ، وزيارتِهِ، وإعانَتِهِ باللسانِ واليدِ والرجلِ والجاهِ وغيرِ ذلكَ صِلَةٌ)). [1]

إنَّ هذه المصاديق التي تقدمت هي من أهم ما نواجهه اليوم في المجتمع، فإنْ كان ما ورد من صلة فلا بد من المحافظة عليه، ومعاهدته،

(١)جامع السعادات ٢٦٩/٢

وتوثيقه بأقوى مما هو عليه، وهذه من فضائل ومكارم الأخلاق، وإنْ كان ما ورد من قطيعة فلا بد من معالجته بالتفكُّر والتأمُّل، ومحاولة العفو والصفح عن الآخرين، والإيثار؛ وفي ذلك كمال جهاد النفس، وتزكيتها من رذائل الأخلاق.

وقال الشيخ حسن الكركي (ت ق١٠هـ) في رسالة خاصة ألَّفها تتعلق بصلة الرحم: ((الصلةُ توجِبُ الذكرَ الجميلَ في العاجلةِ، ورفيعَ الدرجاتِ في الآجلةِ، ولا ريبَ أنَّها من الفروضِ العينيَّةِ، حتى قيلَ: إنَّ تركها من الكبائِرِ الموبقَةِ، والذي يظهرُ لي أنَّ السرَّ في ذلكَ أنَّ الاجتماعَ مطلوبٌ للشارعِ في بقاءِ نظامِ النوعِ، الذي إنَّما يتحصَّلُ ببقاءِ أشخاصِهِ، والقرابَةُ موجِبَةٌ للمودَّةِ والأُلفَةِ)). [1]

فمن خلال ما تقدم تتبيَّن لنا حقيقة وصية الإمام السجاد (عليه السلام) بعدم مصاحبة قاطع الرحم بقوله: ((وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةُ الْقَاطِعِ لِرَحِمِهِ، فَإِنِّيْ وَجَدْتُهُ مَلْعُوْنًا فِيْ كِتَابِ اللهِ)).

هذا آخر ما حاولنا بيانه في بحثنا الموجز عن تحذيرات الإمام السجاد (عليه السلام) ووصاياه فيما يتعلق بالمصاحبة وأثرها في العلاقات الاجتماعية، وتربية الإنسان، والحفاظ على شخصيته، وأهمية التربية الدينية في تهذيب

(١) أطائب الكلم في بيان صلة الرحم ص١٧

النفس الإنسانية، وإصلاح الفرد والمجتمع، والوصول إلى التكامل الإنساني، وقد تبيَّن لنا أهمية قراءة تراث الأئمة (عليهم السلام) قراءة فكرية تربوية، لمعرفة حقيقة وعظمة تلك الأحاديث الواردة عنهم، فنسأله تعالى أنْ يتقبل عملنا بأحسن قبوله إنه سميع مجيب.

عماد الكاظمي
الكاظمية المقدسة
١١ ذو القعدة الحرام ١٤٣٨هـ
٤ آب ٢٠١٧م
ذكرى ولادة الإمام علي الرضا (عليه السلام)

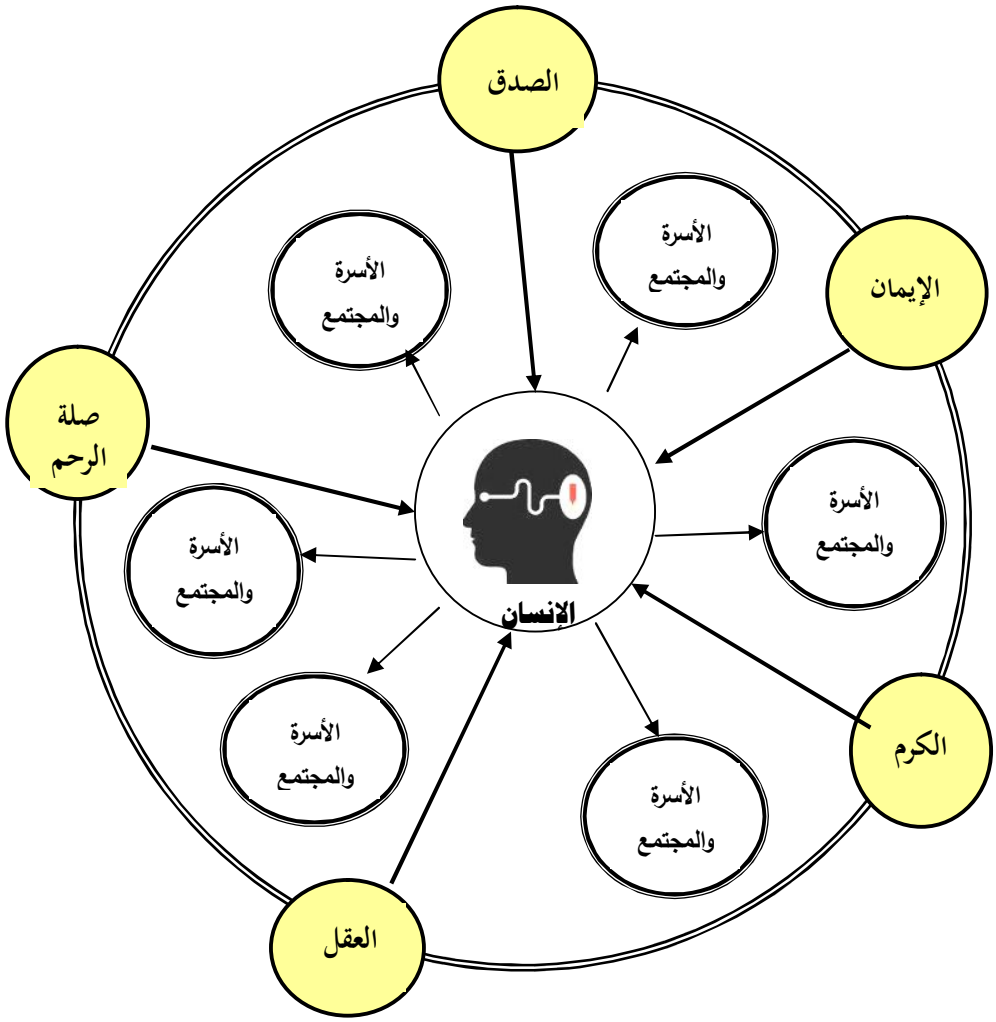

مخطط يوضح أثر هذه الصفات الخمس على الإنسان،

وتأثيره في الأسرة والمجتمع

- خاتمة وتوصيات.

من خلال ما تقدم من صفحات البحث توصلنا إلى ما يأتي:

- **إنَّ الإنسان هو محور اٌعتناء الشريعة الإسلامية المقدسة، في جميع تشريعاتها في العبادات والمعاملات، وكلها تبغي هدف تحقيق السعادة الشخصية والنوعية له.**
- **إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد أكدت بوضوح تام على أهمية التربية وتهذيب النفس عن رذائل الأخلاق من خلال الآيات المباركة والأحاديث الشريفة، بما يلائم الفطرة الإنسانية، وما يؤكده العقل السليم من العقائد المنحرفة.**
- **أهمية المنهج الإسلامي في بناء الشخصية الإنسانية، كونه منهجًا إلهيًّا صادرًا من قبل الخالق الحكيم الأعرف بما يحافظ على مخلوقه من الضياع والانحراف.**
- **إنَّ علماء المسلمين والفلاسفة قد اٌعتنوا بالمباحث الأخلاقية من جميع جوانبها، بما له علاقة بتهذيب النفس، وهذا رصيد معرفي كبير يمكن للبشرية الإفادة منه في صلاح الأمة، بعدما أصابتها تلك الانحرافات الأخلاقية التي تخالف فطرتها.**
- **إنَّ للإمام السجاد (عليه السلام) تراثًا تربويًّا كبيرًا ينبغي دراسته دراسة تخصصية تحليلية لمضامين أقواله وأدعيته ووصاياه ورسالته للحقوق، للخروج بآراء ونتائج لها أثر بالغ في بيان طرق علاج الأمراض الأخلاقية، وبما يعد منهجًا أخلاقيًّا متكاملاً.**

- إنَّ هذه الدراسة تجعل الباب مفتوحًا للباحثين لينهلوا من هـذا المعـين الصافي الذي يعالج النفس الإنسانية والمجتمع من النـاحيتين النظريـة والعملية، حيث وجود أحاديث كثيرة تنفع في بحوث تربويـة وأخلاقيـة وإصلاحية، قد اطلع الباحث عليها فاختار واحدًا منها.
- يوصي الباحث بضرورة دراسة الفكر التربوي لأئمة أهل البيت (علـيهم السلام)؛ لأنهم عِدْلُ القرآن الكريم الذي ينجي مَنْ تمسك بهم من الضلال والانحراف العقائدي والأخلاقي.
- يوصي الباحث أهمية جمع الأحاديث التربوية لأئمة أهل البيت (علـيهم السلام) وترجمتها إلى لغات متعددة؛ لإفادة البشرية منها، فضلاً عن بيان مقامهم وأثرهم في الهداية والتربية والإصلاح.
- يوصي الباحث بوجوب تضمين المناهج الدراسية لهذه الأحاديث التربوية، لبناء جيل له علاقة بتراث أمته العظيم، فضلاً عن تربيته تربيـة عقائديـة إسلامية، والحفاظ عليه من المذاهب المختلفة التي تتعارض مع الشريعة المقدسة في بعض المناهج.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- أحمد علي الحاج محمد (الدكتور): علم الاجتماع التربوي المعاصر، (دار المسيرة، عمَّان، ط٢، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م).

٢- أكرم مطلك محمد (الدكتور): الأخلاق والدين بين فلسفة الانغلاق والانفتاح دراسة في كتاب "منبعا الأخلاق والدين: للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون،" (الناشر: بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠١٢م، د.مط).

٣- الآمدي، ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي (ت٥٥٠هـ/١١٥٥م): غرر الحكم ودرر الكلم، ترتيب وتدقيق: عبد الحسن دهيني، (دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م).

٤- أندريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة وتعليق: د. عبد الحليم محمود، (مط دار الرشاد، ٢٠٠٤م، د.ط، د.م).

٥- تركية، بهاء الدين خليل: علم الاجتماع العائلي، (دار المسيرة، عمَّان، ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م).

٦- الجرجاني، علي بن محمد (٨١٦هـ/١٤١٣م): التعريفات، تصحيح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٧- ابن أبي جمهور الإحسائي، محمد بن علي بن إبراهيم (ت٨٨٠هـ/١٤٧٥م): عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تح: آقا

مجتبى العراقي، تق: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، (ط١، قم، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، د.مط).

٨- الحراني، الحسن بن شعبة (ت ق٤): تحف العقول عن آل الرسول، تقديم حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٧، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م).

٩- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/١٦٩٣م): تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، (مط مهر، الناشر: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ).

١٠- حسين محمد علي طاهر (الدكتور)، علم النفس في رحاب القرآن الكريم والنبي محمد وأهل بيته الطاهرين، (الناشر: مركز الدكتور حسين الطاهر للاستشارات النفسية، الكويت، ط١، ٢٠١٣م).

١١- الحسيني، أبو القاسم (الدكتور): دراسة في علم النفس الإسلامي، ترجمة: ناصر النجفي، (مط الأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ط١، ١٤٢٦هـ).

١٢- الخميني، روح الله (السيد) (ت١٤٠٩هـ/١٩٨٩م): جنود العقل والجهل، تعريب: العلامة أحمد الفهري، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

١٣- الدرويش: محيي الدين: إعراب القرآن وبيانه، (سليمان زاده، قم، ط٢، ١٤٢٨هـ).

١٤- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م).

١٥- الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، تح: دار الحديث، (دار الحديث، الناشر: دار الحديث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ).

١٦- زين العابدين، علي بن الحسين (الإمام): الصحيفة السجادية، تق: محمد باقر الصدر، (مط رسول، قم، ط١، ١٤٢٦هـ٢٠٠٦م).

١٧- السبزواري، عبد الأعلى بن علي (السيد) (ت١٤١٤هـ/١٩٩٣م): مواهب الرحمن في تفسير القرآن (مط الديواني، بغداد، د.ط، د.ت).

١٨- السيستاني، علي الحسيني (السيد)، منهاج الصالحين، (مط مهر، قم، ط١، ١٤١٤هـ).

١٩- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تح: الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، (القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م، د.م).

٢٠- الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت٤٠٦هـ/١٠٦٨م): نهج البلاغة، شرح: الشيخ محمد عبده، (مط النهضة، الناشر: دار الذخائر، قم، ط١، ١٤١٢هـ).

٢١- الشيرازي، ناصر مكارم: الأخلاق في القرآن، (مؤسسة أم أبيها، بغداد، ط١، ١٤٣١هـ٢٠١٠م).

٢٢- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي (الشيخ) (ت٣٨١هـ/٩٩١م): الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قمن ١٤٠٣هـ، د.ط).

٢٣- ـــــــ، من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (منشورات جماعة المدرسين، قم، ط٢، د.ت).

٢٤- الطباطبائي، محمد حسين بن محمد (السيد) (ت١٤٠٢هـ١٩٨١م): الميزان في تفسير القرآن، تص: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م).

٢٥- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (الشيخ) (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: لجنة من العلماء والمحققين، قدم له: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

٢٦- الطريحي، فخر الدين بن محمد علي (ت١٠٨٥هـ/١٦٧٤م): مجمع البحرين ومطلع النيرين، تح: السيد أحمد الحسيني، (مط جايخانه طراوت، طهران، ط٢، ١٣٦٢ش).

٢٧- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (الشيخ) (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): التبيان في تفسير القرآن، تح و تص: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ).

٢٨- العذاري، سعيد كاظم: آداب الأسرة في الإسلام، (مط ستارة، الناشر: مركز الرسالة، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ).

٢٩- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م): التفسير الكبير، تص: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

٣٠- الكاظمي، عماد: القرآن الكريم وآثاره في تربية الإنسان والمجتمع – دراسة موجزة في سورة الإسراء-، (معالم الفكر، الكاظمية، ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م).

٣١- الكركي، حسن بن علي بن عبد العالي (الشيخ): أطائب الكلم في بيان صلة الرحم، إعداد: السيد أحمد الحسيني، (مط مهر أستوار، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي العامة، ط١، ١٣٩٤هـ، د.م).

٣٢- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/٩٤١م): الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (مط حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٣٦٥ش).

٣٣- المتقي الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م): كنز العمال، تصحيح: الشيخ صفوة الصفا، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، د.ط).

٣٤- المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ/١٦٩٩م): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٣٥- ٱبن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م): تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، دراسة وتحقيق: عماد الهلالي، (مط سليمان زاده، قم، ط١، ١٤٢٦هـ).

٣٦- ٱبن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم (ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، (دار صادر، بيروت، ط١، د.ت).

٣٧- الناصري، محمد: العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، (دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م).

٣٨- النراقي محمد مهدي (الشيخ) (ت١٢٠٩هـ/١٧٩٥م): جامع السعادات، تحقيق وتعليق: السيد محمد كلانتر، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر، (مط الآداب، النجف، ط٤، ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧م).

الفهرس

- مقدمة ٥
- تمهيد: أثر التربية في بناء الفرد والمجتمع ٨
- المبحث الأول: الصدق وآثاره ١٩
* المطلب الأول: الصدق في الشريعة المقدسة ٢١
أولاً: القرآن الكريم ٢٢
ثانيًا: السنة الشريفة ٢٧
* المطلب الثاني: الصدق في علم الأخلاق ٢٩
- المبحث الثاني: الإيمان وآثاره ٣٩
* المطلب الأول: الإيمان في الشريعة المقدسة ٤٠
أولاً: القرآن الكريم ٤١
ثانيًا: السنة الشريفة ٤٣
* المطلب الثاني: الإيمان في علم الأخلاق ٤٧
- المبحث الثالث: الكرم والسخاء وآثارهما ٥٣
* المطلب الأول: الكرم والسخاء في الشريعة المقدسة ٥٤
أولاً: القرآن الكريم ٥٥
ثانيًا: السنة الشريفة ٥٨
* المطلب الثاني: الكرم والسخاء في علم الأخلاق ٦٢
- المبحث الرابع: العقل وآثاره ٦٩
* المطلب الأول: العقل في الشريعة المقدسة ٦٩

أولاً: القرآن الكريم ٦٩
ثانيًا: السنة الشريفة ٧٢
* المطلب الثاني: العقل في علم الأخلاق ٧٦
- المبحث الخامس: صلة الرحم وآثارها ٨١
* المطلب الأول: صلة الرحم في الشريعة المقدسة ٨٢
أولاً: القرآن الكريم ٨٢
ثانيًا: السنة الشريفة ٨٥
* المطلب الثاني: صلة الرحم في علم الأخلاق ٨٨
- خاتمة وتوصيات ٩٣
- قائمة المصادر والمراجع ٩٥
- الفهرس ١٠١

إنَّ هذه الصفحات هي قراءة تربوية في حديث واحد من تراث الإمام علي السجاد (عليه السلام) على ضوء الشريعة والأخلاق، يحاول الباحث بيان أثر التراث الإسلامي في تربية وصلاح الفرد والمجتمع وهي محاولة لقراءة تأملية ..

دار الرافد – قم المقدسة